جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد الثاني والثمانون/ السنة الخمسون
محرَّم – ١٤٤٢هـ / أَيلول ٢٠٢٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506
P ISSN 1813-0526

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثاني والثمانون السنة: الخمسون / مُحرَّم – ١٤٤٢هـ / أيلول ٢٠٢٠م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف عبد العالي (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: المدرس الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأنبار/العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور كلود فينتز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.م.عصام طاهر محمد	– مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزية
أ.م.د.أسماء سعود إدهام	– مقوّم لغوي/ اللغة العربية
المتابعـــــــة: مترجم.إيمان جرجيس أمين	– إدارة المتابعـــــة
مترجم.نجلاء أحمد حسين	– إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أَن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأَساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أَمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أَن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أَو (إِشكاليَّة البحث) .
- يجب أَن يراعي الباحث صياغة أَسئلة بحثيَّة أَو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أَو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أَهمية بحثه وأَهدافه التي يسعى إِلى تحقيقها، وأَن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أَن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أَن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أَن يراعي أَدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إِخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأَفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أَن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أَن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأَسئلة البحثية أَو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أَن يدرك أَنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إِلى المُحكِّم وعلى أَساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أَوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأَوزان يُقبل البحث أَو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إِعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأَفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أَصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
هواجس بركات القومية في نصه الروائي رواية فقهاء الظلام نموذجاً محمد جواد حبيب و حسين أحمد سيتو	24-1
أسماء الشخصيات في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل دراسة لغوية تحليلية باسل خلف حمود	55 -25
بدر الدين العيني بلاغيًا قراءة في كتابيه : (عمدة القارئ ، وشرح الشواهد الكُبرى) عبد القادر عبد الله فتحي	79 -56
الجذورُ الشرقيةِ للرومانسيةِ الغربية فارس عزيز حمودي	129 -80
الموت في عينية متمم بن نويرة بين المواجهة والاستسلام نصرت صالح يونس	146 -130
المعاني النحوية ونسيج النص، دراسة في قصيدة "يا أيُّها المُغتابُنا" لعمرو بن معدي كرب عادل فتحي رياض	182 -147
سؤالُ الهُويَّة في شعر لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ) بشار نديم أحمد الباججي	216 -183
تنوّع الإيقاع الزمني في قصص يحيى الطاهر عبد الله القصيرة "ثلاث شجرات كبيرة تثمر برتقالاً" و"الدف والصندوق" أنموذجاً هيثم أحمد حسين المعماري	254 -217
استراتيجية التلقي في قصيدة ترانيم قلبي الصغير للشاعر عمر السرّاي ريم محمد طيب	270 -255
سورة العنكبوت دراسة أسلوبية سلوى بكر حسين	310 -271
تجليات السخرية في الأعمال السياسية لنزار قباني -العنوان أنموذجاً- وسن عبد الغني مال الله المختار	338 -311
أثر التأويل النحوي في توجيه المعنى والإعراب في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (ت377 هـ) وسام يعقوب هلال	380 -339
دلالات الماء في شعر جميل بثينة جمانة محمد نايف الدليمي	407 -381
مناهـج تحقيق النصـوص دراسة مقارنة بين كتابي رمضان عبد التواب وصلاح الدين المُنجّد رعـد ريثم حسين الحسـيني	438 -408
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
موقف الحزب الشيوعي التونسي من التجربة الاشتراكية الدستورية 1964-1970 سعد توفيق عزيز البزاز.	458 -439
اعادة رسم الخارطة الادارية للولايات العراقية ولاية بغداد 1869-1872 انموذجاً	503 -459

لمى عبدالعزيز مصطفى	
منهجية السمهودي (ت911هـ/1505م) في تدوين السيرة النبوية في كتابه وفاء الوفا بأَخبار دار المصطفى (ﷺ) سالمة محمود محمد عبد القادر	504- 541
دور الخلفاء العباسيين في تحصين المدن الثغرية مع الدولة البيزنطية في العصر العباسي الأَوَّل (132-232هـ/750-847م) صفوان طه حسن الناصر فراس يوسف إبراهيم	542- 568
العلاقة بين الاقباط البشمور والولاة العباسيين في مصر (132-227هـ / 750م-831م) عمار حسون عبو العكيدي	569-595
موانئ ساحل بلاد الشام واهميتها الاقتصادية خلال فترة الحروب الصليبية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين والمصادر الصليبية قيس فتحي احمد	596- 632
وظيفة التدريس في مدارس دمشق خلال العصرين الايوبي والمملوكي رياض سالم عواد	633- 664
الموقف الدولي من السيطرة المصريَّة على بلاد الشام 1813-1840م شفيع محمد محمود	665- 698
بحوث الجغرافيا	
مــؤشرات الأداء الاقتصادي الرئيسة وأثرها في قوة العراق 2017 دراسة في الجغرافية السياسية نشوان محمود جاسم الزيدي وحسين علي عران الجبوري	699- 718
الحركة المكانية القسرية الوافدة إلى مدينة قره قوش للمدة 2003 – 2012م باستخدام نظم المعلومات الجغرافية وسام عبد الله حسين , بدر عبد الرحيم محمود	719- 743
بحوث علم الاجتماع	
السلوك العاطفي بين الزوجين بحث ميداني في مدينة الموصل ابتهال عبد الجواد كاظم	744- 774
ثقافة التعايش المشترك في المحلة العراقية دراسة تحليلية للتثاقف المجتمعي بين الحاضر والمستقبل قصي رياض كنعان	775- 792
مشكلات التعليم في المدارس الابتدائية الحكومية (دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل) ريم عبدالوهاب إسماعيل	793-819
زواج القاصرات- دراسة ميدانية في مدينة الموصل نسمة محمود سالم	820- 847
بحوث الشريعة الإسلامية أصول الدين	
حديث الإتقان رواية ودراية عبد الله محمد مشبب الغرازيّ	848- 887
تفسير الصحابي للحديث وحجيته عند الأُصوليين محمود شاكر مجيد	888- 913
اختيارات الإمام الشيرازي في دلالة عدد المأمور به في كتابه اللمع عبدالجبار محمد أحمد	914- 932
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس التربوي	
تدريس مادة الاحياء باستراتيجية الرؤوس المرقمة وأثرها في تنمية التفكير العلمي لدى طالبات الصف الخامس الاحيائي عبدالله محمد الرحو	933- 980
بحوث الفلسفة	
التناص في فلسفة نيتشه مفاهيم ونصوص مختارة هجران عبد الإله احمد	981- 1012
بحوث المعلومات والمكتبات	

مدى المام هيئة التدريس في الجامعة التقنية الشمالية للوصول الحر للمعلومات (open access) خالد نوري عبد الله وأمثال شهاب احمد وفادية عبد الرحمن خالد	1029 -1013

CC BY

الجذورُ الشرقيةِ للرومانسيةِ الغربية

فارس عزيز حمودي *

تأريخ التقديم: 2019/10/24 تأريخ القبول: 2019/11/26

المستخلص:

تتلخّص فكرةُ البحث بالكشفِ عن الجذور الشرقية للرومانسية الغربية؛ عبر تحليل سياقات تاريخية مختلفة؛ بدءا من تأثُّر الحضارة اليونانية بالحضارات الشرقية القديمة؛ عبر منافذ مختلفة أهمها مصر وقرطاجة، وصعودا إلى العصور اللاحقة.

والحديث عن العصور القديمة يمثل مثابةً تاريخية تبيّن أنَّ الحضارة اليونانية – التي يحيل إليها الأوربيين مجمل تراثهم الحضاري – لم تكن تشمل العالم الأوربي المتعارف عليه في عصرنا الحالي. وان تلك الحضارة امتداد لتداخل حضارات كثيرة؛ أهمها الحضارات الشرقية في مصر والعراق وفارس. وأن إرث اليونان القديم يحمل في طياته بذورَ الرومانسية في الفنون والآداب الشرقية القديمة المختلفة.

أمّا بخصوص العصورِ اللاحقةِ فيجري الكشفُ عن تأثّر الحضارةِ الأوربيةِ بالشرق الأوسطي على الخصوص، منذ العصر الاندلسي فصاعدا. ومِن ذلك الشرق جرى اقتباس الأسس الأولية للنزعة الرومانسية الأوربية. وهذا لا يعني إقصاءَ الأصالة الأوربية والإقلال منها؛ لكنْ ومن جانب آخر لا يقرّ البحثُ بفرادتِها عن الآخر الشرقي.

يحتوي البحثُ على تعريف بالرومانسية، بوصفها نزعةً فكرية؛ أكثر مِن كونها نزعة أدبية، لذلك كان لها أثر خطير في نشوء تغيرات واسعة في العالم. وقد أسهمت الروح الشرقية بهذا النشاط إسهاما واضحا، وساعدت الإبداع العالمي على تجاوز

* أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

الانغماس في صرامة النزعة العقلية وإحياء عنصر الجمال والحب في الثقافة العالمية.

والرومانسية الحديثة – في الحقيقة – نشاط استشراقي؛ حاول الخروج مِن جفاف الروح الأوربية إلى مستوى شاعرية الشرق. حدث هذا من خلال تأثّر الروادِ الأوائل للأدب الأوربي بالآداب الشرقية؛ ولاسيما الأدب العربي؛ خصوصا من خلال كتاب ألف ليلة وليلة وأشعار الأندلسيين.

وفي البحثِ أمثلة نصوصية منتخبة مِن آداب أوربية مختلفة تأثرت تأثيرا بيّنا بالشرق؛ فضلا عن شهادات النقاد والأدباء والرحالة بهذا التأثر الكبير بالآداب الشرقية.

وهذا التداخلُ مع الشرق يبيّن بوضوح التفاعل الحضاري بين الأمم، على العكس مما تدّعيه النظرة الفوقية. تلك النظرة التي ترسخ حالةَ الانكماش والقطيعة بين الأمم؛ سواء على مستوى فكري، أو على مستوى فني وإبداعي.

الكلمات المفتاحية : فرضية تصور موسيقى

المقدمة:

قبل الدخول في موضوع البحث تلزم الإشارةُ إلى ملاحظاتٍ ضرورية، الأولى:

أنَّ نتائج البحثِ أو حتى فروضاته قد لا تلاقى قبولا مِن لدن الكثير مِن الغربيين؛ لاسيما فيما يتعلق بجذور الرومانسية في العصور القديمة. ويعزز هذا الرفض كون الكثير من الغربيين يخضعون في تصوراتِهم لسلطة المركزية الغربية. هذه المركزية التي انتقدها وبشدة الكثير من الكُتاب الغربيين أنفسهم؛ وبينوا أنها تنطوي على تعسفٍ كبير؛ فقدموا بحوثا ونتائج جديدة تغير الكثير من النسق المتوارث بخصوص انتماءات أو التداخل الحضاري والمعرفي للأمم السالفة.

ومع ذلك فلكل أحدٍ أنْ يقدم الأدلة على ما يراه مِن أفكار وما يتخذه من مواقف؛ والحكمُ بالتالي يعود إلى المُعطى العِلمي العابرِ للذاتية والأعمام.

الملاحظة الثانية: أنَّ البحثَ يتناول الرومانسيةَ بوصفِها مذهباً فكرياً؛ لا يقتصر على الأدب وفن الرسم أو الموسيقى فحسب. أمّا الخصائص المدرسية لهذه النزعةِ فمعاييرٌ أتت بعدُ؛ بسبب المقارنة بينها وبين مذاهب أخرى؛ وأغلبها مُقارنات إجرائية؛ تخصُّ المنحى النقدي لهذه النزعة.

أمّا الملاحظةُ الثالثةُ فمفادُها: أنَّ البحثَ غير معنيٍّ بتفصيل أسسِ المذهب؛ مِن حيث مناحيه النقدية المُختلَف فيها؛ بل هو دراسةٌ ذات نزوع تاريخاني(*)؛ يفسِّر البعدَ التطوري لهذه المذهب؛ والذي كان لهُ أثرٌ كبيرٌ في عموم الفكر البشري وثقافاته المختلفة.

* سيتكرر مفهومُ التاريخانية. ولكي يتجنِّب القارئ الخلطَ الحاصل في معناها يحيط البحثُ – باختصار – بدلالة هذا المصطلح. فالتاريخانية بحسب رايموند وليامز Raymond Williams ذات معانٍ ثلاث؛ يوردها حسب التسلسل الأكثر قبولا لدى الدارسين:

الأول: معنى محايد يعبّر عن المنهج الدراسي المعتمِد على حقائق الماضي وتأثير سوابق الأحداث.

الثاني: منهجٌ يعتمد على ظروفِ سياقاتٍ تاريخية متقلّبة؛ يتم عن طريقها تفسير أحداث مُحددة.

الثالث: معنى يرفض التنبؤ على أساس الضرورة التاريخية؛ أي لا دخلَ لمجريات الماضي في وقائع الحاضر.

أمّا الناقد التاريخي بول هاملتون في كتابه "التأريخ أو التاريخانية" Historicism or Historism فيرى "أنها حركة نقدية تشدّد على أهمية السياق التاريخي لتأويل النصوص. إنها معنيةٌ بوضع أيةِ عبارةٍ فلسفية / تاريخية / جمالية ضمن سياقها التاريخي، من أجل سبر المدى الذي ينعكس فيه تطور المفهوم. وأكثر التيارات في أواخر القرن العشرين مثل ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة اعتنَت بفكرة: أنَّ الفهمَ ينوجد بفهم تفاصيل التاريخ وحيثياته.

أنظر: Keywords. A vocabulary of culture and society. Raymond williams.p.147. New York, NY . Oxford University Press, 2015.

Historicism. Paul & published in the Taylor. Francis e-Library, 2005

Hamilton. Introduction. p.3

وتتبّع جذورِ الرومانسيةِ بحاجةٍ إلى جهدٍ مقارني مُضنٍ؛ قد يستغرق بحوثا كثيرة، وحيزا زمنيا طويلا، نظرا للسعة في مفردات الرومانسية حتى قبل التأسيس لمصطلحها بأزمان موغلة في القِدم.

والبحث هنا لا يتكلم عن نشوء الرومانسية الغربية أيام تناميها ونشوئها فحسبُ؛ بل يتحدث عن الجذور المؤسسة والممهّدة للكثير من العناصر التي كونتها. فالمعروف أن كل المذاهب الكبرى في الأدب وعموم الفكر كانت تأسست منذ زمن أبعد بكثير عن زمن ظهورها. والأفكار والمذاهب على الحقيقة تتكون من مجموعة عوامل داخلية ومؤثرات تاريخانية بعيدة أسهمت في نشوئها أو التي ستعتمد عليها لاحقا في ترسيخ تعاليمها ومناهجها.

وهذا البحث ليس درسا نقديا يعمل على معارضة النصوص وتقيمها كما أنه ليس درسٌ فيلولوجي لها، فهكذا درسٌ له مجالاته ومتخصوه. ومع ذلك فالبحثُ يتناول عيناتٍ من أدلة ومعطيات تثبت امتداد الرومانسية ومصادرها الأولى.

وعلى الرغم من هذا لا يدّعي البحثُ أن كل مصادر الرومانسية القديمة أو التي في العصر الحديث تعود إلى الشرق، فهذا الحكم إقصاءٌ؛ لا يندرج تحت موضوعية العلم. لكن البحثَ يطمح إلى توجيه النظر إلى ما أسهم به الشرق في تشكيل جذور الرومانسية الغربية. وهذا ما حمله على إعطاء نماذج مختصرة عن هذا الإسهام مع إيراد شهاداتِ مؤرخينَ وأدباء ونقاد في هذا المجال.

في نشوء مصطلح الرومانسية

الرومانسيةُ (حركة أدبية وفنية وفكرية؛ نشأت في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، وتميَّزت بتأكيدها على العاطفةِ والفردية، فضلا عن تمجيدها الماضي والطبيعة. ومثّلت رد فعل على الثورة الصناعية، والقواعد الاجتماعية والسياسية الأرستقراطية لعصر التنوير)[1].

1 Encyclopedia Britannica Online. "Romanticism". Retrieved 30 January 2008, on 13 October 2005.Oxford. London. 2005.

ويُرجِع البعضُ النشوء الحديث للرومانسية إلى " الحركة الأدبية التي بدأت بنشر القصائد الغنائية التي وضعها كلّ مِن ووردزورث وكوليردج في عام 1798؛ بوصفها ردَّ فعلٍ على عقلانية القرن الثامن عشر.

وبخصوص موقف الرومانسية من العقل يرى البعض أننا (لابد أن نفهم أن معركة الرومانسية لم تكن ضد العقل؛ بل في سبيل عقل أرقى وأرحب؛ يتوافق مع عليه الكائن البشري من تعقيد)[1].

وتؤكد الرومانسية على أنّ العالم يشبه نباتًا حيًا؛ ينمو ويتطور ويرتفع. وينكر الرومانسيون أنْ تكون العقلانية الطريق الوحيد للحقيقة، ويذهبون إلى أن الحدس يمكن أنْ يقودهم إلى فهم أنفسِهم وعالمهم، ويجب تقييم الاهتمامات الفردية والعواطف والخيال"[2].

ولاشك في أن الإرباك الذي حدث في الفكر الأوربي نتيجة التغيرات التي أحدثتها حركات التنوير شكّل ردودَ فعلٍ أسهمتْ في إنتاج الرومانسية؛ أو على الأصح في استجلابها مِن الشرق وتطويرها بما يلائم العقلَ الغربي وذائقته. "وتجسّدت الرومانسية[3] الأوربية بشكل أقوى في الفنون البصرية، والموسيقى والأدب، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ على التاريخ، والعلوم الاجتماعية والطبيعية"[1].

---

1 موسوعة كامبريدج للنقد الأدبي. الرومانسية. تحرير مارشال براون. تـ ابراهيم فتحي . المجلد الخامس ص 75– 76. المركز القومي للترجمة. ط1 القاهرة. 2016.

2 Literary Criticism: An Introduction to Theory and Practice, 5th Edition. Charles E. Bressler. London. pp 325 – 326. 2011

3 ولمزيد من الاضاءات نذكر أنَّ كلمة رومانس اشتقت من كلمة ronanze لفظة فرنسية قديمة تعني اللغات الناشئة عن اللاتينية، واستخدمت كلمة ronance في العصور الوسطى لتصف قصص الفروسية المكتوبة باللغات المحلية، وتلك القصص كانت مكتوبة شعرا. ويمكن أن نعزو استخدام كلمة «رومانس» إلى المفهوم الذي يصف التجربة العاطفية في العصور الوسطى، ويمكن أيضا أن نرجع استخدامنا لمفهومها – كتجربة فكرية – إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. إلا أن البعض اعتبر بزوغ الروح الرومانسية في انجلترا في القرن الثامن عشر إحياء للأدب الإليزابيثي واتجاهاته القوطية. وبدأ استخدام صفة رومانسى ينتشر في القرن الثامن عشر، حيث امتدت الكلمة

إنَّ مجموعةَ الكلماتِ التي تحتوي على جذرِ "Romance" في اللغات الأوروبية لها تاريخ معقّد، وفي منتصف القرن الثامن عشر كان للرومانسية في اللغة الإنكليزية والفرنسية المعنى ذاته؛ وتعني الاحتفاء بالطبيعية. والواقع لا أحدَ يستطيع تجريدَ العصورِ السالفةِ من بذورِ الرومانسية؛ وليس هناك مذهب في الأدب والفن تخلّص مِن أطرِها؛ لأنّ الإنسان يبقى ذا صلةٍ بالمقومات التي تنطلق منها الرومانسية؛ ولاسيما العلاقة بالجمال والحب والطبيعة والمرأة.

ومن هنا كتب رائدُ الرومانسية في المانيا فِريدريك شليگل (1772-1892) في حواره حول الشعر عام1800: " أجد في الرومانسية الحداثة الأقدم، أجدها لدى شكسبير، وسِرفانتس، وفي الشعر الإيطالي، وفي عصر الفروسية والحب والخرافة"[2]. وتكشف كتابات شليگل بوضوح أكبر عن الرغبة في تتبع كل شيء بالرجوع إلى الهند[3].

لتدل على ما هو فتان ومثير للخيال. واستخدمت منذ عصر النهضة لتدل على حرية التخيل. واستخدم الفيلسوف والناقد الألماني فريدريك شليجل (١٨٢٩ - ١٧٧٢) عام ١٧٩٨ المصطلح (Romantisch) ليدل على أشكال حديثة من التعبير الفني، ربطها بما أسماه «الشعر العالمى التقدمى.

أنظر: الرومانسية دونكان هيث، جودي بورهام - - ترجمة: عصام حجازي- مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - الطبعة الأولى 2002 - ص9-13.

1 History as Romantic Art, David Levin,: Bancroft, Prescott, and Parkman.. p.67. 1967.

2 Romanticism. Ferber, Michael. A Very Short Introduction. Pp 6-7. New York: University. 2010.

3 التنوير الآتي من الشرق. اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي. جي. جي. كلارك. ص 108. ترجمة شوقي جلال. ط1. عالم المعرفة. الكويت. 2007

وفي العصر الأليزابيثي طغتْ الأفكارُ الشرقية على الدراما الإنكليزية، وتفشّت أيضا المِسحة الشرقية بأعرافِها وأذواقها وطبيعة اللغة الملونة بالأسلوب الشرقي[1].

لكن الكثيرَ مِن الموضوعات التي تخص مفردات التاريخ الحضاري متأثرةٌ بفكرةِ المركزية؛ التي يحاول الذهن الغربي جعلها المرجع لأغلب رؤاه وعقائده؛ لذلك من العسير على الذهن الغربي إرجاع الأصولِ الفكرية والأدبية إلى جذور غير أوربية؛ أو خارج نطاق الأصول اليونانية.

ومنذ أنْ وضع إدوارد سعيد كتابَه الاستشراق وجّه العلماءُ عنايتهم إلى التناقض الكامن في تصورات الغرب تجاه الشرق[2]. وجرْيا على أطروحة سعيد ركز بابا – في كتابه: *السؤال الآخر: الصورة النمطية المميِّزة للخطاب الاستعماري*– على مناقشةِ التباين الازدواجي في تصوّر الغرب للشرق؛ بوصفه سمةً أساسيةً مِن سمات الاستشراق؛ والذي يراه – وطبقا للتحليل النفسي – شكلا مِن أشكال النزوع الجنوسي؛ الذي تمتزج فيه الجاذبية والتنافر؛ وهذه سِمة مميِّزة للاستشراق؛ بوصفِه أحدَ نمطيات الاستعمار الموزَّعة بين الحبِّ والكراهية[3].

وهذه الصورة لا ننتظر منها أنْ تكون حقيقيةً عن الشرق؛ بقدر ما هي صورةٌ خيالية؛ ممتزجة بشيء مِن الواقعية؛ وتعبّر عن حاجةٍ عاطفية للأوربيين آنذاك؛ في فترة مِن تاريخِهم المضطرب. لكن هذه الحاجة أتت مختلطةً بكمٍّ كبير مِن التزوير؛ فالتصورُ الخاطئ يفضي إلى نتائجَ سلبية على الدوام. وإنّ المعرفة بتطوّر الحضارات مِن أكثر الأمور صعوبةً وخطورة.

وتأتي هذه الصعوبةُ بسبب الافتقار إلى الأدلة الحاسمة؛ بخصوص حركة انتقال عناصر الحضارات. لكن الصعوبة الأكثر تتمثّلُ في انحياز المُشاهِد، والذي تسبِّبه

---

1 The Oriental in Elizabethan Drama. Louis Wana. Cornell University. p. 33. 1991.

2 للتوسع انظر كتاب: الاستشراق. ادوارد سعيد. ...

3 The Other Question: Stereotype, Discrimination and the Discourse of Colonialism ch. 3. pp 79. London: Routledge, 1994.

دوافع مختلفة، ومع ذلك يستمر العلماءُ بتقديم دراساتِهم التي يقفُ القارئ أمام طوفانِها حائرا ومنبهرا أحيانا أخرى.

و"الاثنوغرافيون يعرِفون: أنّ الملامحَ المشتركة بين شعوب العالم أكثر من الاختلافات التي بينهم، لكنَّهم يدرسون وبشكل مكثَّف مظاهرَ الاختلاف. وحتى لو بدا للكثير أنَّ الفيزياءَ والرياضياتِ أعقدُ العلوم، فإن العلومَ التي تدرس الإنسان وحضارتِه ليست في الواقع أقلّ تعقيداً"[1] وجدارةً بالعناية. لذلك فدراسةُ مثل هكذا تداخُل بين الحضارات يحتاج إلى منهج يتجرّد عن التصنيفات الإثنية؛ ويتعامل مع المُنجز الحضاري بوصفِه منجزا إنسانيا؛ عابراً للتصنيف العرقي؛ حينها ستخف وطأة التحيّزات التي تضرُّ بالقيمة العمَلية.

وقبل التوسّع في هذا نودُ طرحَ ملاحظةٍ مفادُها: أنَّ المعنيَّ بالشرق هنا الشرق الأدنى والذي تدور حوله أغلبُ الإشكالات في ثنائية الشرق \ الغرب، وهذا لا يعني نزعَ الانتماء الشرقي لبقية الأمم الشرقية؛ لكن أغلب مشكلات الغرب الحضارية تتعلق بالشرق الأدنى، وهذا ما يميل إليه رودي پارت(*) في معرض تحديد مفهوم الشرق. يقول پارت:

"كلمةُ شرق تعني مَشرق الشمس، ... والظاهرُ أنَّ اسم الشرق تعرَّض لتغيّر في معناه؛ فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان، يعنى العالم السُلافي، وهذه المنطقةُ يختص بها علماء بحوث شرق أوربا. أمّا الشرقُ الذي يختص به الاستشراق فجغرافيا مكانه الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا .... ومع أنّ الشرقَ الحالي هو شرق البحر

---

1 الإثنوس والتاريخ. بروملیه وبودولني. ت. غانم معصراني، ص. 8. دار التقدم. دمشق. 1988.

* رودي بارث من المستشرقين الألمان الأكثر اتزانا, "ترجم القرآن إلى الألمانية. توفي سنة ١٩٨٣؛ حصل على الدكتوراه سنة ١٩٢٤. شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون. إنتاجه الأساسي ترجمةُ القرآن بحسب الترتيب العثماني إلى الألمانية، والتعليق على الترجمة في مجلد ثان. وبهذا صار المجلد أداةً بيلوغرافية نافعة. وإلى جانب هذا كتب رسائل عن القرآن، منها رسالة: محمد والقرآن وهي عرضٌ قصد به غير المسلمين لتفهيمهم حقيقة رسالة النبي ص. وله رسالة بعنوان الإسلام والتراث الثقافي اليوناني. أنظر: موسوعة المستشرقين. عبد الرحمن بدوي. ص 62. دار العلم للملايين. بيروت. ط3. 1993.

المتوسط آنَ ذاك؛ فهو لدى العالم الغربي يميل موقعه إلى الجنوب. ولمّا انتقل مركز الأحداث السياسية من البحر المتوسط إلى الشمال؛ بقي مصطلح الشرق يشير إلى الدول الواقعة شرق البحر المتوسط"[1].

وملخصُ الأمرِ أنَّ ما يُسمى الآن الشرقُ الأوسط هو جنوب أوربا الغربية، وهو شرقُ اليونان فحسب؛ أو لنقل شرق البحر المتوسط. فنحن شرقيون بالنسبة إلى اليونان؛ وجنوبيون بالنسبة لأوربا الغربية. وبارت يفسر السعةَ التي حصلت للمدلول اليوناني القديم لمفهوم الشرق؛ بفعل الامتداد السياسي والجغرافي للحضارة الإسلامية؛ ثم يتوسّع ليحددَ البلدانَ المعنِية بالشرق حاليا. وتفسيره هذا قريبٌ مما ذهب إليه سيدني فيشر Sydney Fisher ويعني به (الشرق الأدنى)؛ والذي أُستعيضَ عنه لاحقا بتعبير الشرق الأوسط؛ ويشمل تركيا واليونان والعالم العربي[2].

البذور القديمة لعناصر الرومانسية :

للحديث عن نشوءِ الرومانسيةِ لابدَّ مِن الرجوع إلى جذرها القديم؛ كي لا يلتبس الحال ونقع تحت طائلة الترويج الغربي من أنّ امتداداته الثقافية تعود إلى اليونان؛ ففي حقيقة الأمر أنَّ التداخل بين اليونان والعالم الشرقي أوسع بكثيرٍ مِن الامتداد مع العالم الأوربي قديما. واليونانيون لم يعدّوا أنفسَهم منتمين إلى أوربا الغربية " فقد قارَن أرسطو بين سكان الأراضي الباردة في أوربا المتفجرين حيوية، والمفتقرين للذكاء والمهارة، وليسوا بقادرين على حكم الآخرين بسكان الأراضي الأكثر دفئاً في آسيا، الذين كانوا أذكياء ولطيفي المَعشر، لكنهم يفتقرون إلى الحيوية "[3].

---

1 الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. رودي بارت. ص ١٧-18.

2 The Middle East, A History 2nd. Sydney Nettleton Fisher(New York 1968) pp. 7.

3 أثنا السوداء. ماترن برنال. تحرير محمود إبراهيم السعدنى. ج1. ص102. ط 1. المجلس الأعلى للثقافة القاهرة. 2004.

والأرجحُ في كلام أرسطو أنّ الحيويةَ تعني القدرةَ الجسمانية، ولم يصوّر الإغريقَ على أنهم أوربيون، بل شعبٌ متميز؛ حظيَ بأفضل الصفات. لكنّ هذا كلّه لا يعني عدمَ الإقرار بأخذ أوربا الكثير مِن عناصر حضارتِها مِن اليونان؛ بعد زوال الأخيرة بقرون كثيرة، بحكم الصلات الجغرافية والدينية، وبفعل الرغبة في الانتماء إلى حضارتها السامية.

إن "المؤسسات الأكاديمية في الغرب – ومنذ سبعينيات القرن العشرين – قبلت النقد الموجَّه إلى الاستعمار الكلاسيكي، وحاولت أنْ تنأى بنفسها عن أسلافها. ونجح خطابُها في تفسير أسباب الحنين الرومانسي والاستعماري المستنسخ عن الشرق في الفنون والأدب[1].

ويرى تيم وايتمَرش Tim Whitmarsh أنَّ جذور الرومانسية في أوربا " تعود إلى أصولٍ يونانية، و"الرومانسيةُ اليونانية بدورها استمدتْ أسسَها الأولى مِن الشرق، فالإغريق الأوائل – وبسبب الغزوات المتتالية – اختلطوا بالشعوب الشرقية؛ وهم في أطوارِهم الأولى في بنائهم الثقافي؛ لكنَّهم حسّنوا الفنَ الذي حصلوا عليه ... وقاموا بإصلاح الفنون التي اقتبسوها مِن الشرق، وخلّصوها مِن الثوب الفظ الذي ظهرت فيه بين الشرقيين. وقاموا بتعديلها بشكل أكثر انتظاما، وحوّلوها إلى أنماط ملْحمية، وفي هيئة شكّلت بذور الرومانسية منذ وقت مبكر.

أشار النقادُ إلى النسَق الذي وضعه بيير هويت[*] Pierre Huet 1630- 1721 عن الأصول الشرقية للفنون اليونانية القديمة. "ورجّح أنَّ الرومانسية نشأت بفعل اتصالٍ خصبٍ بين اليونان والشرق الأدنى. وفي الدراسة التي قام بها اروين رود Erwin

---

1 Orientalism Past and Present, An Introduction to a Postcolonial Critique, Tobias Hübinette. The Stockholm Journal of East Asian Studies. no 13, p. 73-74

* أسقف ومؤرخ فرنسي (1630–1721)، له إسهامات في مجال التاريخ الحضاري. وخصوصا كتابه عن أصل (الرواية) الرومانسية وفنون الخيال.

Rohde - 1876 إثباتٌ بأن النسخة المبكّرة للسرد والخيال اليونانيين امتدادٌ لفنونِ عالم شرق البحر الأبيض المتوسط وما وراءه"[1].

وهذه الآراء نأخذ بها شريطةَ الانتباه إلى ملاحظة مفادُها: أنّ الحديث هنا غيرُ معني بالنزعة المدرسية في تصنيف المذاهب الأدبية؛ أمّا النمط الشكلي أو حتى المنهجي للمدارس الأدبية الأوربية فتقسيمات لاحقة، فالكلاسيكية مثلا أخذت مَعايير الفن اليوناني والروماني مِن حيث البناء؛ إلا أنَّ تلك الفنون في هاتين الحضارتين كانت تحمل عناصرَ الرومانسية من حيث الأخيلة والعواطف وسُبل التعبير. أمّا فيما يخصّ المعاييرَ التي وضعها أرسطو والتي لها علاقة بالأجناس والمذاهب الأدبية فتُعد لاحقة على ذلك التأثّر المبكر للإغريق بعالم الشرق.

إنّ " اللقاءات الأوروبية مع المثقفين الآسيويين تكثّفت في عهد الرأسمالية التجارية، وتشير بعض الدراسات إلى أنّ القصور لحق نموذج التفكير الاستشراقي ما قبل عصر التنوير؛ لم يتمكن من قراءة الوقائع التطورية التي حصلت في أوربا بفعل تأثرها بالشرق، لكن ظروف أوروبا بدأت تتغير بحلول نهاية حياة هويت Pierre Huet في أوائل القرن الثامن، حين لم تتمتع الدولُ الأوروبية بهيمنةٍ سياسية، ولم تكن متفوقة بآدابها على الإمبراطورية العثمانية في شرق البحر المتوسط، ومع ذلك، فإن هويت يقدّر كيف تترابط المجالات المتشابكة للمعلومات والسفر والتجارة والقوة والاستعمار مع بعضها البعض"[2].

إنّ تأثيرَ وادي الرافدين في الأدب والفنون لا يقل عن تأثيره في علوم الفلك والرياضيات وغيرهما؛ فالأدب الملحمي الذي ظهر عند السومريين والبابليين في عدد من الملاحم الشعرية، كملحمة گلگامش واضحٌ في إلياذة المنسوبة إلى هوميروس. " ومجال الأساطير في العصور القديمة هو المجال الذي حاول مِن خلاله

---

1 The Romance Between Greece and The East. Edited by Tim Whitmarsh. Cambridge press. P. 325

2 م.ن. 326.

الإنسان تفسير ظواهر الحياة والطبيعة المحيطة به، مثل ظـواهر الخلـق والمـوت والخصوبة والإنجاب.

وهنا نجدُ قدراً غير قليل مِن الأساطير اليونانية تكاد تتطابق مـع الأسـاطير التـي سبقتها في وادي الرافدين مثل أسطورة أنانا وديموزى (عشتار وتموز) البابلية؛ فـي مقابل أسطورة أفرودي وأودنيس اليونانية التي وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين"[1]، وهي جميعها أدبياتٌ تكتظّ بمواقف الإنسان مِن فكرتَيْ الحبِ والطبيعةِ تصل أحيانا إلى حدِّ العبادة والتماهي فيها.

"وإذا نحينا جانبا قضية ما حدث طوال ألف سنة قبل أنْ ىكتبَ هيـرودوت كتابـه "التحقيقات التاريخية" Historiae، فإن تعبيره يوحي إلى حدّ كبير بأنّ الاعتقاد الـذي كان سائدا في القرن الخامس ق.م. هو أن بلادَ الإغريق قد (اسـتوطنها) المصـريون في بداية عصر الأبطـال. وإن آراء هيرودوتـوس حـول المسـتوطنات المصـرية والفينيقية في بلاد الإغريق، كانت آراءً مألوفة، ليس في الوقت الذي عاش فيه (ذلك المؤرخ) فحسب، ولكن في كل مراحل العصور القديمة"[2].

ويتجه علماء الكلاسيكيات إلى توقيت دخول الأبجدية الفينيقية إلـى بـلاد الإغريـق بالقرن التاسع، أو القسم الأخير من القرن العاشر ق.م[3]. وتفشي الأبجدية الفينيقيـة في بلاد الإغريق واستيطانهم فيها يمتنع معه تصوّرُ عدم انتقال أفكـارهم وتقاليـدهم وفنونهم إلى بلاد اليونان.

ويذكر اوستلر لـ" قد نشرت المستوطنات الفينيقية وعلى نطاق واسـع إحساسـا بماهية المجتمع المثقف في الشرق الأدنى ... فقد كان الفينيقيـون ناشـرين لثقافـة وادي الرافدين على نطاق عالمي. وكان الشيء المادي الملمـوس نشـرهم الكتابـة بنظامِهم الأبجدي بين اليونانيين والإيبريين؛ وربما بين الرومان، وهكذا يحـق لهـم الادعاء بأنهم قدموا لأوروبا تعليمها الأساسي".

---

1 أنظر: The Literature of Ancient Greece, Murray. University of Chicago Press, 1956.

2 اثنا السوداء. م.ن. ج1. ص175.

3 م.ن.ص. 190.

إن ملحمة أنساب الآلهة التي نظمها هيسيودوس قد نظمت على أساسٍ من نماذج تنتمي إلى الشرق الأدنى من نوع لم يتم تطويره إلا بعد ١١٠٠ ق.م . وتنتمي إلى لون (أدبي) يمكن أن نتتبع آثاره في جميع أرجاء الشرق الأوسط بدءا من الألف الثالثة ق.م.، وليس هناك من سبب يدعونا للشك في أنّ صيغة ما من هذا اللون قد وجِدت في بلاد الإغريق. ومع ذلك فأن الصيغة التي قدمها هسىودوس في ملحمته في إطار هذا اللون الأدبى، تحتوي على خصائص لا يحسن تفسيرها إلا من خلال الروايات التي كانت سائدة نهاية الألف الأولى ق.م"[1].

يقول والمؤرخُ اليوناني هيرودوت: " إنَّ جميع الشخصيات المقدسة في اليونان تكاد أنْ تكون مأخوذةً مِن مصر، وبحوثي الخاصة دلتني على أنَّ هناك شخصيات مقدسة أخذتها اليونان من البلاد المتبربرة، لكني أرى أكثر الشخصيات مأخوذة من مصر خاصة"[2]. ومِن أهم الأساطير التي أثّرتْ في نشوءِ الفنِ اليوناني أسطورةُ ديونيسيوس[3] إله الحب والخمر؛ في مقابل القوة الأبولونية رمز العقل والروح، هي

---

1 إمبراطوريات الكلمة. تاريخ للغات في العالم. نيقولاس اوستلر. ص 81-81. تـ محمد توفيق البجيرمي. دار الكتاب العربي. بيروت. 2011.

2 على هامش التاريخ المصري القديم، عبد القادر باشا مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠، ج١، ص١٣١ .

في الأساطير ديونيسوس ابن الإله زيوس من أمّ بشرية تدعى سيملي، عشقها زيوس وأنجبتْ منه 3 قررت الانتقام فأغرت غريمتها سيملي غيرتها ولشدة طفلاً. وسمعت هيرا زوجته بهذا فطار صوابها، أن يتجلى أمامها وهي البشرية الفانية بهيئته الإلهية. وفعل زيوس ما أرادت بأن تطلب من زيوس سيملي، فلم يحتمل جسدها ذلك؛ ففارقت الحياة، وجنينها لمّا يكتمل بعدُ، فانتزعه زيوس من بطنها وأخفاه في فخذه. ولما أتى موعد ميلاده أخفاه عن هيرا الغيورة حتى كبر. ثم بدأ ديونيسيوس يجوب البلدان شريدا مطاردا؛ فخوراً بخمره الذي يسميه ماء الربيع؛ وناشراً دعوته كرب للحقول والخصوبة أنظر: والعشق

Classic mythology. Myth Summary Chapter 13: Dionysus, Pan, Echo, and Narcissus. Ninetieth edition. Oxford University press. P. 233.

ذاتها أسطورةُ باخوس لدى الرومان. ويرجح العلماء أنَّ أصلَ ديونيسيوس غير يوناني. وأنه مِن تراقيا التي في جنوب الأناضول أو من كريت إلى اليونان[1]. وأسطورته كانت السبب في نشوء الموسيقى والشعر الغنائي؛ لذلك يعزو إليها نيتشيه ولادة عصر المأساة الإغريقية[2].

لكن ما هي المنافذ التي تمّتْ من خلالها هجرةُ المثيولوجيا والفنون الشرقية إلى بلاد اليونان؛ فضلا عن منفذ مصر الفرعونية المبكر؟. الواقع كانت صقلية حلقةَ الوصل بين الشرق وأوربا، ويظهر هذا في العصور الإسلامية بصور مباشرة؛ لكن دورَ صقلية في تأثيرها على اليونان أقدم من هذا بكثير؛ حيث انتقل إليها الفينيقيون الذي أسسوا قرطاج سنة 814 ق.م. قبل تأسيس الألعاب الأولمبية الأولى 778 ق.م. بحوالي 88 سنة[3]. وحتى الألعاب الأولمبية دخلت اليونان من طريق الفينقيين الموجودين في أوتيكا[4]، القريبة مِن قرطاج. فالصراع الذي بدأ للاستيلاء على صقلية لم يكن صراعا عسكريا فحسب؛ بل تداخلا حضاريا؛ تم من خلاله عبور الاعتقادات والفنون الشرقية إلى اليونان.

وإذْ نُقر بسموِّ حضارةِ اليونان وما قدمته مِن جهود فـ "من المستحيل تجاهل شهادات اليونانيين القدماء أنفسهم، فقد شهد أفلاطون بفضل الحضارة المصرية القديمة، وأكد على أنْ اليونانيين أطفال بالقياس إلى تلك الحضارة العظيمة. وهناك روايات تحكي عن اتصالِ فلاسفة اليونان وعلمائهم ومنهم أفلاطون ذاته بالمصريين القدماء؛ وسفرهم وإقامتهم فيها لتلقّي العلم. ويذكر المؤرخ اليوناني ديودور الصقلي في كتابه تاريخ العالم: "إن جميع اليونانيين الذين اشتهروا بعلمهم وحكمتهم زاروا مصر القديمة، كي ينهلوا مِن علومها.

---

1 قاموس أساطير العالم. آرثر كوترل. تـ سهى الطريحي. ص 159. دار نينوى. دمشق. 2008.

2 أنظر: مولد التراجيديا. فريدريك نيتشيه. تـ شاهر حسين عبد. ص 106. دار الحوار. سوريا. 2008.

3 التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، محمد الصغير، ص 106. ط 2، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1982.

4 تاريخ سوريا الحضاري القديم، حمد داوود. ص 531. ط3، دمشق، دار الصفدي. 2004.

إذن لم تكن نشأةُ العلم يونانية خالصة؛ ولم يكتشف اليونانيون ميادين العلم من فراغ، بل أنّ الفرصة كانت ممهَّدةً لهم في بلاد الشرق؛ التي كانت تجمعهم بها صلات تجارية وحربية وثقافية، وكانت أقرب البلاد جغرافيا إليهم"[1]. وفي هذا الصددِ يقول مؤرّخُ العِلم والحضارةِ جوستاف لوبون: " كان الناس منذ سنين قليلة يظنون أنّ اليونانيين هم أصل العلم والحضارة، وأنَّ علومهم وآدابهم من مستنبطاتهم، وأنهم غير مدينين بشي لمن سبقهم من الحضارات، ثم جاءت نتائج التنقيبات الآثارية في مصر ووادي الرافدين والهند؛ فتغيرت المفاهيم تغييرا جذريا، ... وقد نقل الفينيقيون إلى اليونان منتجات الفنون والصناعة المصرية والآشورية، وبقي اليونانيون دهرا طويلا يقلدونَها، وأن اليونانيين يدينون بالفضل في ازدهار حضارتهم لمَن سبقوهم من أُمم الشرق"[2].

ويقسّم العلماءُ الحضاراتِ القديمة إلى قسمين: أصيلة ومكتسبة. والحضاراتُ الأصيلة التي اكتشفت هي حضارة وادي النيل ووادي الرافدين، وحضارة الهند والصين، أما الحضارة واليونانية والرومانية فهى حضارات مكتسبة لأنها بُنيت على أساس الحضارات الأصيلة كلاً أو بعضا[3]. "وقد تميزت كلُّ حضارةٍ بمميزاتٍ مثل اللغة ونظام الكتابة والفن وأسلوب الحياة. وعلى الرغم من انتقال عناصر الحضارة مِن مركز إلى آخر؛ فقد اتصلت الحضارة اليونانية بحضارة مصر قبيل الأسرة الأولى (٣٢٠٠ق.م) وأعجبت مصر بفن السومريين وبعض مظاهر حضارتها[4].

---

1 الأصول الشرقية للعلم اليوناني. د. محمد محمود علي. ص 7. ط1. عين للدراسات والحوث. القاهرة. 1988.

2 مقدمة الحضارات الأولى. جوستاف لوبون، ص١٧-١٨ . ط1. دار الرافدين. تـ محمد رستم. دار الرافدين. 1999.

3 تاريخ العلوم والتكنولوجيا في العصور القديمة. مصطفى محمود، ص ١١٠. .ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2008.

4 A short history of Science, W, T, Sedwick and W, W, Taylor, The Macmillan Company, New York, 1939 , p. 15-16.

وعليه فهناك فجوةٌ في تتبّع تأثرِ اليونان بالثقافة الشرقية عموما، وبتغلغل الرومانسية إلى الفنون اليونانية ثم الأوربية لاحقا؛ من خلال الإرث اليوناني المكتسب مِن حضارات الشرق.

وقد لازم الإقصاءُ الشرقَ بفعلِ ضعفِ التوثيق؛ وضحالةِ الاستشراق الكلاسيكي، أيْ الاستشراق الذي كان يصدر مِن أمةٍ متخلفة (الأمم الأوربية بعامة) قُبالة حضارة الشرق، التي كانت تشكل مصدر التفوق والارتقاء الثقافي. ويذكر روبرت بريفولت Robert Briffault في كتابه (بناء الإنسانية The Making Of Humanity): "إن النور الذي أضاء الحضارة مرةً أخرى لم تأتِ جذوتُه من الثقافة اليونانية والرومانية، أو من آثارهما في أوربا، لم يأتِ من الشمال بل أتى من القادمين من الجنوب وهم العرب[1].

وأمَّا بخصوص الحضارةِ الرومانية فهي حضارة مُكتسبة؛ وميزتها الكبرى التوسعُ العسكري والمدني وليس الحضاري؛ مقارنةً بحضارة اليونان. ومع ذلك فتفوّقها في مجال القانون والنظم الاجتماعية امتد أثره إلى أوربا الغربية لاحقا بحكم الاحتلال الروماني لها؛ لكن تظل الروحُ اليونانية هي الأصل؛ سوء لدى الرومان؛ أو لدى الغرب الأوربي لاحقا.

ونظراً إلى أنَّ الرومان أسهموا بنَزرٍ يسيرٍ في الحوار بشأن ما يمكن أنْ نسمّيه النظرة العلمية إلى العالم؛ فهذا يعني " أنَّ الحكمة الموروثة حتى عصر النهضة لم يطرأ عليها تغيير منذ أيام الإغريق، أي قبل نحو 1550 سنة من ظهور كوبرنيكوس ...

أمّا في الأندلس فكانت القضيةُ معكوسةً؛ حيث أعادت الأندلس صياغةَ معادلةٍ تبيِّن مكانَة الشرقيين في حركة التاريخ الحضاري. وأدى اختلاط التأثيرات الإسلامية والمسيحية واليهودية في أسبانيا تحت الحكم الإسلامي إلى قيام ثقافة مزدهرة.

---

1 The making of humanity. robert briffault. London. ruskin house, 40 museum street w.c.i. pp. 183

كتب پول الفاروس Paul Alvarus زعيم الكنيسة في القرن التاسع الميلادي شاكياً من الجاذبية التي مارستها الثقافة العربية على المسيحيين الأسبان قائلاً: يحب المسيحيونَ قراءة أشعار العرب وقصصهم؛ ويدرسون أعمال الفقهاء والفلاسفة العرب، لا ليفنّدوها بل ليكتبوا بلغة عربية صحيحة ... وفي مقابل كلّ فرد قادرٍ على أنْ يكتبَ خطابا باللاتينية هناك ألف ممن يستطيعون التعبير بالعربية، ويكتبون قصائد بهذه اللغة أفضل مِن العرب أنفسهم"[1]. وهذا يعني أن منافذَ الاقتباس الحضاري والأدبي بات مُشرعة أمام الأوربيين بشكل واسع.

فالآداب الأوربية في القديمة تأثرت تأثيرا كبيرا بالثقافة اليونانية وبالأدب اليوناني على الخصوص لكن الطابع الذي اكتسبته منها بقي طابعا يحمل سمات الروح اليونانية والرومانية والتي تتناقض إلى حد كبير مع الثورة الأدبية التي واكبت ظهور الرومانسية الأوربية.

ولمعالجة آلية اكتساب سمات الروح الشرقية والعربية على الخصوص – وهي قضية بلا شك معقدة – يستطرد البحث قليلا ليلّخص هذه الآلية من خلال ما كتبه مفيد الشوباشي، إذ قدَّم حجاجات عقلية تعضد الشواهد والأدلة التي ذكرها الكثيرُ من الباحثين. يقول:

"إن الحب الذي تصوره ملاحم الإغريق ومسرحياتهم هو الحب الجسدي العنيف المخيف الذي تراق في سبيل ملذاته الدماء، ... الحب الذي يتحرق إلى القسر والأسر والاغتصاب. أما الحب الإنساني المتبادل الذي يورث المروءة والنبل، ويدفع صاحبه إلى نصرة الضعيف ... هذا الحب الشبيه بحب العذريين لم تعرفه أوربا إلا بعد اتصالها بالعرب.

وكانت تصرفات الإغريق في أعمالهم الأدبية تتسم بالخشونة والتباهى بالقوة الجسدية .. وكانت حروبهم مجازر، وفروسيتهم غلظة وقسوة، أمّا الشفقة والرحمة

---

1 Western Views of Islam in the Middle Ages. Richard Southern. Harvard University Press. P21

فصفات تحقّر صاحبَها؛ بدلا من أنْ ترفع قدره لأنها تدل عندهم على الضعف والعجز. ولم تعرف أوربا إلى ما قبيل العصر الحديث، إلا هذا اللون من الأدب. ثم طلعت بشائرُ إنتاج أدبى أخذ ينبثق خلال القرن الثاني عشر حرص على تحري الصدق في تصوير الواقع، وفي تحليل العواطف الإنسانية المهذبة. فانقلب الأدب الأوربي حينذاك من أدب أسطوري إلى أدب إنساني، فلِماذا وقع هذا الانقلاب في المكان والزمان الذي وقع فيهما؟ وما هي عوامل وقوعه؟. ولماذا نجزم بأن التغير الذي طرأ على أدب أوربا يرجع إلى تأثره بالأدب العربي؟ ألم نقل انه كان إغريقي الموضوع؛ لاتيني اللغة، منعزلا عن الجماهير فلما طفق بعض المؤلفين يكتبونه بلغاتهم الوطنية عاد فاتصل بالجماهير، فلماذا لا نقول أن هذا التغير هو الذي سددت خطاه، ورده طبيعيا إنسانيا؟.

الواقع فأن ذلك التحول كان يحتاج إلى نماذج يسترشد بها ... ولم تتبدل الحال إلا بهبوب نسمات من أدب متجدد ... فقد أمد الأدب العربي أوربا بنماذج أدبية كانت تحتاج إليها، وكانت السبب في انطلاقه في طريق السمو الفني. وهذا ما سهل على الأدب الأوربي سلوك سبيل التطور، واختصر زمن الانتقال إلى المرحلة الحضارية التي وصل إليها في العصر الحديث.

فإذا قيل أن الأوربيين كانوا سيصلون إلى ما وصلوا إليه من مستوى حضاري سواء أعانهم العرب أو لم لا ... والأعمال الأدبية العربية ما كانت لتصلح نماذج لأدب أوربي؛ لأن الأدب يعكس نشاط مجتمعه ومشاعره فكيف تصلح أعمال أدبية لأمة نماذج لأدب امة أخرى ؟. والجواب إن مؤلفي الغرب لم يجدوا في الأدب العربي منهلا يغترفون منه المعاني وإنما تعلموا فن التعبير الصادق عن الواقع ... ولم يكن ذلك من خلال الأدب وحده بل من خلال النظم والقيم الحضارية والسياسية والذوقية"[1] تلك النظم والاعتقادات والأذواق والآداب بعمومها موازية للنزوع الإنساني إلى حد كبير، فضلا عن القواعد الأخلاقية في التعامل مع المرأة والطبيعة ومع عناصر الحب

1 العرب والحضارة الأوربية. محمد مفيد الشوباشي. ص 26- 29. ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1975.

والطبيعة من دون انعكاسات ميثيولوجيا ترهقهـا الأخيلـة الأسـطورية ذات الطـابع الدموي على الغالب.

بذور الرومانسية الشرقية في العصر الوسيط

وإذا تركنا تلك الشهادات عن الآداب القديمة؛ ونتناول واقع الأحـوال فـي عصـور لاحقة فسنحتاج إلى أمثلة عمَلية تبينُ حجمَ تأثير الآداب الشرقية في الآداب الغربيـة، ولما كان ذلك أمراً ذا سعة فليس أمامنا إلا انتخاب عينات مِن ذلك التـأثير؛ نسـتطيع من خلاله رسم صورة مقاربة للواقع في هذا المجال. ونبدأ أولا بتتبع سـريع لتـأثر شعراء التروبادور بفنون الشرق ومن ثم إسهامهم هم في تشـكيل البـذور الأولـى للرومانسية في عموم أوربا لاحقا:

لم يعرف شعراءُ أوربا الشعر الغنائي المقفّي إلا بداية القرن الثاني عشر للميلاد؛ فـي جنوب فرنسا، وأول مَن نظم هذا الشعر في منطقـة بروفنسـا Provence شـعراءُ التروبادور Troubadours. ويذكر سي إس لويس " كلّ واحد منا قـد سـمع عـن أشعار التودد في حب، وكل واحد يعرف أنه ظهرت فجأة في نهايـة القـرن الحـادي عشر في لانغدوك*. لقد تم وصف خصائص شعر تروبادور بالشكل الغنائي والأناقـة التي تتسم بالتطور؛ وغالبًا ما تكون غامضة.

وتلك الأشعار كانت من نوع خاص للغاية في مزايا التواضع، وإدانة الحبيب؛ بوصفه مذنبا على الدوام الحب؛ يصور أصدق صور الطاعة لأمنيات الحبيبة، مـع الامتنـاع عن لومها، رغم أنها غير عادلة، ويجري مخاطبتها بوصفها عذراء، وهذا يُعـد مـن خلق المهذبين، حيث تصبح الحبيبة – من وجهة نظر الحبيـب – زهـرة، أو بـذرة.

* لانغدوك (Languedoc) مقاطعة فرنسية سابقة أصبحت الآن ضمن إقليم أوكسيتاني في جنوب فرنسا. كانت عاصمتها تولوز.

وتلك الأعراف النبيلة التي تميزت باللطيف هي التي تجعله حبيبا مهذبا. وهذا الشعر غالبا ما أطلِق عليه في القرن التاسع عشر الحب العذري[1].

وهذه السماتُ وحتى التسمية هي ذاتُها السمات والتسمية التي تنطبق على أشعار العذريين العرب، والتي لم تكن ضمن سياقات التعبير عن المشاعر تجاه المرأة في أوربا قبل القرن الحادي عشر.

"والتروبادور شاعرٌ جوّال ينظم الأشعار الغنائية، والتسمية مُشتقةٌ مِن الفعل "تروبار trobar بمعنى وجَد، أي وجد العباراتِ الجميلة؛ وأطلق الاسم على كل من يقرض الشعر.

ويُعد ظهور الشعر الغنائي في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي مِن نتائج التغيير الذي طرأ على منطقة بروفنسا. ويتجلّى هذا أيضا في اللغة التي كُتب بها ذلك الشعر وهي اللغة الأوكسيتانية الرومانسية[2] التي استخدمها أهل الجنوب ثورةً على اللغة اللاتينية من جهة، وتعبيرا عن أدب وطني مستقل من جهة أخرى.

والشعر الأوكسيتاني نظّم بلغة أوكْ؛ وهي لغة جنوب فرنسا دون شمالها. ونشأ في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد؛ غير بعيد عن مناطق الأندلس، وهو شعر غزلي في حب المرأة والدفاع عنها. وأغوى هذا الشعر خلال العصور الوسطى طوائف من شعراء غرب أوربا، فظهر شعراء شمال فرنسا الذين نظموا شعرَهم بلغة الشمال،

---

1 The allegory of love. Lewis. A study in medieval tradition. C. S. Lewis. P. 2. Oxford. Press. 1958.

2 الأوكستيانية لغة رومانسية في جنوب فرنسا وشمال غربي إيطاليا وشمال شرقي إسبانيا وهي لفظة منحدرة من اللاتينية: occitana أي اللغة القسطانية. أنظر:

The Provencal speech of the Waldensian colonists of Valdese, North Carolina. Valdese: Historic Valdese Foundation.

وكذلك شعراء إنكلترا، وأسبانيا، وإيطاليا، وألمانيا وغيرهم؛ من الشعراء الجوالين الأوربيين"[1].

ظهر شعرُ التروبادور في أوائل القرن الثاني عشر الميلاد وعلاقته بالحضارة العربية الأندلسية تبدو واضحة. وكان جمارا بار بيوري Barbieri في القرن السادس عشر الميلاد، أول مَن أشار إلى تأثير الأدب الأندلسي في الأدب الأوكسيتاني. ودافع عن هذه الفرضية، في نهاية القرن الثامن عشر للميلاد الأسباني خوان أندريس. وپار بيوري، لكنْ إلى يومنا هذا لم يتفق الباحثون على المصادر التي استقى منها الشعر الأوكسيتاني خصائصه، بل أحتفظ كل منهم بافتراضاته وبدوافع قومية أو دينية جانبَ الكثيرُ منها أبسط قواعد الموضوعية[2].

لذلك حاول قسم من الدارسين إرجاع أصل الشعر الغنائي الأوكسيتاني إلى مصادر لاتينية، معتمدا في ذلك على قصائد القديس فورتوناتوس Fortunat؛ الشاعر الروماني الذي عاش في القرن السادس للميلاد. بينما الشعر البروفنسي في القرن الثاني عشر للميلاد يختلف جذريا عن مقاطع " فورتوناتوس الشعرية، وهي ليست سوى نثر اكليروسي[3]. والواقع فإن شعرَ التروبادور لا يمثل تمثلا حرفيا أشعار الحب والفروسية العربية؛ ولا حتى الأزجال الاندلسية؛ وذلك بحكم التغيرات الذوقية التي أسبغها عليه المتلقون الأوربيون.

وفي المقابل فإن النزعة الرومانسية التي اجتاحت أوربا لاحقا لم تكن نقلا حرفيا؛ لا للشعر العربي ولا للشعر الغنائي الرومانسي الذي كان لدى شعراء التروبادور؛ لكن موضوعاته الشعرية والقيم التي تعامل معها ونزعة الجمال والحب والميل إلى الطبيعة والمرأة؛ بوصفها كائنا جميلا هي من العناصر التي اعتمدها الرومانسية،

1 مصادر شعر التربادرو الغنائي. د. محمد عباسة. ص.24. مجلة حوليات التراث. العدد 14/ 2014.

2 م.ن.

3 م.ن.

واستمدت عناصرها من كلا النتاجين السالف ذكرهما؛ الاندلسي بعامة وشعر التروبادور. فضلا عن الجانب العذري والفروسي في تلك الأشعار.

وبحلولِ نهايةِ القرن الحادي عشر للميلاد بدأ المجتمع الأوكسيتاني يتجه نحو ثقافة اجتماعية وأدبية جديدة، والتي هي غريبة تماما عن أوروبا المسيحية. هذا التحول الجديد كان صدىً لحضارة مجاورة، هي الحضارة الأندلسية. فالمداحون (Joglars) والمهرجون (Minstrels)، والحجاج كانوا مِن الفاعلين الأساسيين الذين أسهموا في مرور هذا الأدب؛ من الجنوب إلى الشمال، وكان الشعراء الجوالون سباقين إلى احتضانه[1].

استطاع الشعراءُ البروفنسيّون "إدخال جميع موضوعات الشعر الأندلسي تقريبا إلى مجتمعهم. وطرقوا الغزل البلاطي المجامل والعفيف، أبدعوا في بوصف الحب، وأزهار الربيع، مدحوا ورثَوا، كما خصوا مختلف عناصر الطبيعة الحية والجامدة. أما بالنسبة للأشكال الشعرية التي وردت عندهم، فليس هناك دليل على أنها وجدت في أوربا قبل عصرهم. هذه الصيغ نقلوها في الواقع، من بلاد الأندلس"[2]. وهذا يعضد ما ذهب إليه (سي إس لويس) كما مر بنا سالفا.

و" أول مَن نظم الشعر الغنائي الغزلي (التروبادور) غيوم التاسع، كونت بواتييه (1071 – 1127م)، وبدأ نشاطه الشعري في السنوات التي تلت عودته من المشرق؛ عام 1100، على رأس حملة صليبية، ولكنْ تم تكسير جيشه مِن لدن خصومه الصليبيين. ولقد لاقى هذا الشعر لاحقا دعْما مِن الفونسو الحكيم؛ ملك قشتالة (1252–1284) الذي – وعلى الرغم من مناهضته للمسلمين – كان منفتحا على حضارة الأندلس؛ محبا لآدابها[3].

---

1 مصادر شعر التروبادرو الغنائي. م.ن. ص 21.

2 الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، محمد عباسة. ص 44. دار أم الكتاب، ط1، مستغانم 2012.

3 ألفونسو العاشر والإسلام ناديا ظافر شعبان، المجلة العربية السعودية، عدد مزدوج، ص. 110. 4 ــ 5 مايو 1979،

ومِن الأدلة الأخرى التي عضَّدت القول بأن تلك القصائد الغنائية كانت تستند إلى الزجل العربي أنَّ الفونسو قام بإلحاق صور تظهر الآلات الموسيقية وحامليها؛ سواء كانوا من العرب أو الأسبان أو الاثنين معا[1]، وكان عدد تلك الصور يبلغ أربعين صورة أو منمنمة؛ تظهر عازفين أثنين ينظر أحدهما إلى الآخر. إذ كان بلاط الفونسو العالم يعج بالعلماء المسلمين.

لذلك فإن أصحاب النظرية اللاتينية بالغوا حين بحثوا لهذا الشعرِ عن أصول أوفيدية (نسبة إلى الشاعر الروماني أوڤيد 43م– 18م ق.م؛ في كتابه فن الحب، لأن أشعار أوڤيد نصائح قدمها لكلا الجنسين بغرض الإغواء، ولم يراعِ فيها الاحتشامَ؛ في حين أن تمجيد المرأة الذي جاء به شعراء التروبادور في شعرهم لم يعرفه الأوفيديون من قبلهم[2]؛ بينما هذا التمجيد للمرأة ولمعاني الحب هو مِن ميزات الغزل الشرقي والاندلسي على الخصوص. "وإذا كان الزجل قد ظهر قبل شعر أول شاعر لاتيني معروف بقرنين من الزمان فلا شلك أن الأغنية اللاتينية الحديثة مشتقة من الأغنية العربية الأندلسية لا العكس"[3].

ويذكر الناقد الفرنسي بيرديه في كتاب «القصة في سبعة قرون»: "نشر العرب في الأندلس خلال القرن العاشر الميلادي حضارة جديدة، وابتدعوا شعرا غنائيا إنسانيا حمله شعراء التروبادور إلى الشمال، وتدل المراجع التاريخية على أن القصور الأندلسية بعد أن احتلها الأسبان، كانت تزخر بشعراء العرب الذين وقعوا في الأسر،

1 أثر الأندلس على أوربا في مجال الموسيقى والإيقاع. الجراري. ص89. ط1. مكتبة المعارف. الرباط. 1982.

2 مصادر شعر التروبادرو الغنائي. م.ن. ص 25.

3 الإسلام في أسبانيا. لطفي عبد البديع. ص 120. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ط1. 1958.

ومن السخف أن يتجنب مؤرخو الأدب الفرنسي هذه الوقائع الثابتة بالأدلة المسجلة[1].

وحتى بعد سقوط الأندلس وتعرّض المسلمين فيها إلى الاضطهاد فإن تأثيرهم الثقافي في أوربا صار أوسع وأعمق؛ بسبب انتشارهم في أصقاع أوربا؛ بعد الاضطهاد الأسباني. وتذكر المستشرقة زيغرد هونكه "أنّ رومانسية الموريسك بقيت تعمّ مجالسَ السرور في أوربا؛ فلأولِ مرةٍ في تاريخِ العلاقات العربية / الألمانية صارت قصور أمراء أسبانيا والبرتغال الجسر الذي انتقلت عن طريقه هذه المؤثرات ومعها وآدابُ الفروسية وفنونها، إلى فرنسا ثم إلى ألمانيا.

وقد أدّى التراث الأندلسي الذي بقي في أشعار وموشحات العرب الذين بقوا في أسبانيا بعد سقوط الأندلس إلى ظهور نوع جديد من الأدب هو " الرواية الحديثة " ولذلك فليس من العجيب أنْ يؤدي اتحاد أسبانيا وألمانيا تحت راية كارل الخامس إلى زيادة تقبل الألمان للحضارة الأسبانية التي كانت تتمتع بقوة جذب خاصة بصفتها العربية الواضحة وتفردها الشرقي"[2].

"إنّ المدةَ بين القرنين العاشر والثاني عشر شهِدتْ ازدواجيةَ النظرةِ إلى الشرق؛ فمِن جهة تركت الحمَلاتُ الصليبية سجّلاً حافلاً بالكراهية تجاه الشرق؛ لا تظهر فيه إلا بعض محاولات فردية للتعامل مع الأعداء. ومِن جهة أخرى الشعور بالحاجة إلي تلمّس مساربِ التجديد عِبر فكر المسلمين والعودة إلى الروح اليونانية من خلال ما كتبه ابن رشد وسواه.

وإذا كان الخطاب الاستشراقي الحديث تطور ضمن حالةٍ من الديناميكية الغربية؛ فان الاستشراق القروسطي كان قلقا وحائرا تجاه الآخر؛ غير أنه كان يعي عظمة الثقافة الشرقية وكمّ الإبداع الذي فيها. وهكذا أخذت أوربا تفهم ذاتها عِبر النصوص

---

1 الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير. محمد رجب البيومي. ص 127. إدارة النشر والثقافة الجامعية. الرياض.ط1. 1980.

2 الإبل على بلاط قيصر. زغريد هونكه. تـ حسام الشيمي. ص 21-22. مكتبة العبيكان. الرياض. 2001.

المنتقاة مِن الثقافة الشرقية. ومِن خلالِ إعادة التعريف بنفسها أعادت صياغة ذاتِها أمام الثقافة العظيمة؛ لكن بشكل من أشكال الفوقية"[1]؛ هذه الفوقية تتمثل بنكران المرجع الشرقي لأغلب الفنون والأفكار التي اقتبستها منها.

و(العقل يأبى أنْ يذهب الأدب الأندلسي مِن صفحة التاريخ الأوربي بغير أثرٍ على الأفكار والموضوعات والدواعي النفسية والأساليب اللغوية التي تستمد منها الآداب ... وقد اقترنت بموضوعاته بأسماء طائفة من شعراء أوربا خلال القرن الرابع عشر وما بعده، منهم بوكاشيو ودانتي وبترارك الإيطاليين وشوسر الإنجليزي، وسرفانتيس الأسباني)[2]. الذين كانوا امتدادا للرعيل الذي تعاطى الأدب والشعر في القرون الوسطى ونهل من نتاجات الأندلسيين، وخصوصا في مجالات شعر الفروسية والحب والطبيعة.

التحولات الفكرية والسياسية والتذبذب بين الرومانسية والعقلانية

بعد خروج أوربا من العصر المظلمة عانت تحولات واسعة ولأزمان طويلة كان فيها الصراع على أشده بين تيارات دينية وفلسفية وسياسية مختلفة؛ فعصر الأنوار نفسه جعل الصراع مُحتدِما بين العقل والمثالية؛ ثم بين الكلاسيكية والرومانسية.

انتشرتْ الرومانسيةُ أولَ الأمرِ في ألمانيا المفكَّكة، والتي كانت بحاجةٍ إلى نموذج التاريخ والبطولة والوطنية، فاعتمدت الإعلاء من شأن فروسيةِ العصور الوسطى؛ لإثارة حميّة الشعب؛ ليلتفَّ حول النموذج الأمل؛ كما هو الحالُ في عهدِ أوتو أيام الإمبراطورية الجرمانية. " لكن الشعب الألماني ظل ممزقا، وخاض حروباً راح ضحيتها ثلث السكان، وجرى خلال ذلك انقسامات ومذابح عرقية وطائفية بين ألمانيا والنمسا والسويد ومن ثمَّ فرنسا. فكبا الفكر الألماني وانحسر إلى الداخل نحو الرومانسية؛ مستنهضا ماضيه؛ مع أنه هو الذي أسس للعقلانية وعمل على تحطيم

1 الاستشراق والقرون الوسطى. جون م. غانم. ص 33– 34. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة. ط1. 2012.

2 أثر العرب في الحضارة الأوربية. عباس محمود العقاد. ص: 55–56. دار نهضة مصر. القاهرة. د ت.

بُنى الاستبداد"[1] لكن كيف جرتْ العودةُ إلى الروح الرومانسية في أوربا فيما بعد عصر التنوير؛ وفي أعقاب تحطيم المُثل الكلاسيكية؟.

يُعد فهم انتشار الرومانسية في أوربا قضيةً معقدة؛ ما لم يُصار إلى فهمِ التغيراتِ التي حدثت في نُظم التفكير الأوربية ذاتِها، لذلك نحتاج أنْ نتتبع – وعلى عجالة – فهم تلك التغيرات.

" جاء الرومانسيةِ الأوروبية على شكلِ موجاتٍ متتالية، وهذا يوحي بقوة زخمها وتعقيد طبيعتها. فهي لم تكن حركةً واحدة بل حركة متعددة، لكل منها ميزتها، لكنها تشترك في "صدق الضمير"، حيث أنّ المواقف الفردية والخيالية حلّت محل النزعة العقلانية القديمة. فالإنكليز كانوا متفوّقين في الشعر الغنائي، والفرنسيين ركزوا على الدراما، في حين كانت الأشواق المتعالية أنسب للرومانسية الألمانية ذات النزعة الراديكالية الميتافيزيقية"[2].

رأى فلاسفةُ عصرِ التنوير بأن التجربة وحدها قادرةٌ على تحديد ما هو خير وما هو شر، فالنافع هو الخير، والضارّ هو شر. وفي مجال القيم تصوروا أنَّ ضمير الإنسان لا معقبَ لحكمِه، وهو الذي يحدّد ويفرز ما هو شرّ وما هو خير.

كان هذا التوجه في بوادرِه كفاحا ضدّ هيمنةِ الميتافيزيقيا، والفلسفات المثالية المعطِّلة للحياة؛ والمرسّخة لمصالح الإقطاع؛ والنخبِ؛ الكهنوتية وغير الكهنوتية؛ فدخل الاستقراء ثم التجربة – تحت مِظلة الرياضيات – مجال العلم؛ لكن هذا الهوس بالتجربة والاستقراء يسري على الماديات؛ ولا يمكن أن يحتوي القيم والأخلاق في نطاقه.

ولمّا كانت الأخلاقُ لا ترى الخيرَ فيما هو كائن؛ بل فيما يجبُ أنْ يكون، فكان لا بد من وجودِ معيار أرقى؛ ألا وهو الواجب الذي دعا إليه كانط. ومن هنا رأى مفكرو عصر التنوير: "أنّ العقل هو المرجع، وهو الذي يجب أن يرتبطَ بالدين ويفسِّره،

---

1 نيتشيه مكافحا ضد عصره. ص. 25. تـ حسن صقر. دار الحصاد. 1998.

2 Romanticism in Historical Perspective Lilian R. Furst Comparative Literature Studies, Vol. 5, No. 2 (Jun., 1968), pp. 136.

واعتبروا " التفكيرَ النظري لا يكفي في مجال الدين؛ ولا بد مِـن أن تكـون الأخـلاق المفسِّرة له مطابقةً للعقل، وكلّ ما يطابق العقل من الاعتقادات فعليه مدار العناية"[1].
وبمعزل عن الانحراف الذي يمكن أن يحصلَ بفعل شطط العقل فان هذه النزعة طرحت فكرة عدم الخضوع (للنظام الساري) بما في ذلك النصوص التاريخية القـيم الدينيـة والأخلاقية.

ومن هنا امتاز عصرُ التنوير بإهمال الماضي ومثُله وتقاليده، وتشبّثَ بالتطلّع نحـو المستقبل؛ لذلك ثارَ أصحابُه على القومية والعرقية وتطلعوا نحو الإنسانية. لكن مثُلهم الجديدة لم يكن لها القدرةُ على وضع مناهج مستقبلية كافية؛ فاشتطوا في تفـاؤلهم؛ دون تحقيق سلامة ذهنية واجتماعية كافية. ونرى أنَّ من أسباب فشلِها عـدم تمكّـن النُخب مِن احتواء امتدادها؛ فعملية شطب التـواريخ ونفـي المحـددات الاقتصـادية الضابطة تعني مزيدا من الفوضى؛ لذلك جاءت (مثُلهم فيها إفراط التفاؤل، والبعد عن مطابقة الواقع)[2].

واستمرت خيبة الأمل في الوضعانية إلى أنْ أتت الرومانسية فـي القـرن الثـامن عشر؛ لتحاول تحطيم ذاك الذي طالبت به حركة التنـوير الأوربـي، والعـودة إلـى الماضي؛ لأن الماضي – كما تدّعي – هو العطاء والجمال والحب؛ بخلافِ الجفاف مع العقل التنويري.

والواقع فأن التحول إلى النزعة الرومانسية إنْ هو إلا مُحاولةٌ لإيجاد مخـرجٍ مـن أزمة متفاقمة في فعملت على البحث عن سبل الانخلاع من الكلاسيكية وعن سـطوة البرود العقلي المتمثل بالحركة العقلانية الباردة التي مِـن شـأنها مصـادرة الإبـداع الروحي والفني أو الحد منه.

وحين انتشرت الرومانسيةُ في ألمانيا وجدت من الكنيسة قبولا ومن الإقطاع دعما، وقالت: بان الله يتجلّى في كل شيء وخصوصا الطبيعة؛ في حين كانت حركة التنـوير

---

1 نقد العقل الخالص. إيمانويل كنت. ترجمة غانم هنا. صـ 98. مركز دراسات الوحدة العربية. ط1 بيروت 2008.

2 نيتشيه. عبد الرحمن بدوي. ص 134. وكالة المطبوعات. الكويت ط1. 1975.

لا تفسر الدين إلا في نطاق الأخلاق العمَلية. وعندها انحسرت حركة التنوير نسبيا؛ لولا ولادةٌ أخرى حصلت لاحقا، وتلك الولادة كانت تطرّفا آخر مضادا لشطط الرومانسية ذاتها، حيث انبثقت الوضعية[1]؛ التي تعنىَ بالواقع الخاضع للتجربة؛ ونبذ الأخيلة والميتافيزيقا. ولما كانت الوضعية بنت حركة التنوير؛ فان نجاحها تزامن مع انبثاق الكشوف العلمية في مجال المادة.

إنَّ مبادئ الوضعية كانت موجودة من قبلُ؛ لكنها لم تستطع مقاومة التيار المثالي أو الميتافيزيقي؛ لأنها لم تحقّق مكاسب مادية تدعم روّادها في الدفاع عنها. لكن الطفرة التي أحدثتها الخبرةُ في مجال المادة أعطى للوضعية زخم كبير، فالبعد النفعي الذي تحصّل للوضعانية هو ما جعلها تجد لها مكانا في المجتمعات.

إذن هو صراع محتدّ بين الوضعية وبين الرومانسية، وما تركته الرومانسية مِن إرث ظل ساريا لعقود لاحقة. وقدّم الأدبُ الرومانسي الأوربي نتاجات أثّرت على مجمل النسق الحضاري والأخلاق في عموم أوربا.

الـتأثيرات الشرقية في الرومانسية الأوربية في العصر الحديث:

كانت مدام دي ستال في فرنسا أكبر داعية للحركة الرومانتيكية، وهي أول مَن سماها بهذا الاسم، متأثرة بفلاسفة الألمان ونقادهم، وقد أضفت على دعوتها طابعا عاطفيا غذته بمعرفتها الواسعة من الآداب المختلفة. وكان نقدها ذا طابع

---

1 الوضعية Positivism : فلسفة وضع أصولها الفيلسوف الفرنسي اوكيست كونت1798 – 1857. وتقر بعجز العقل عن إدراك العلل الأولى. ويرى أن العقل كان يعيش حالات من الأوهام التي لا صله لها بالواقع. ويتخبط من الحالة اللاهوتية، ثم الحالة الميتافيزيقية، لكن الأمر لا يستمر على ذلك؛ بل العقل ينتقل من هذه الأوهام إلى الحالة الثالثة وهي الحالة " الوضعية. حيث يتخلص من أوهام اللاهوت والميتافيزيقيا، ويدرك الأشياء طبقاً لـ (وضعها الذي هي عليه). فهو يدرك أنه من المستحيل الحصول على حقائق مطلقة؛ فيقصر همَّه على الاهتمام بواقع الأشياء واستكشاف الظواهر من خلال واقعها المادي القائم على التجربة.

أنظر: موسوعة السياسة، عبد الوهاب الكيالي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 3، 1990، الجزء الخامس ص 273. ومع ذلك فما تزال الوضعانية تتعرض إلى ضربات متتالية من لدن المثالية وحتى النزعات الاجتماعية والثقافية الرافضة لتشييء الإنسان.

علمي، يتجه إلى التفسير والتعليل. فأخذت تدرس الأدب في نواحيه الفردية والاجتماعية[1] معا.

مِن المرجّح أنّ ترجمة الفرنسيين لألف ليلة منذ وقت مبكر هو الّذي سرّع في انتشار التأثيرات الشرقية على الذائقة الفرنسية. ولا نطلق هذا الحكم بشكل عام؛ ونخرِج التأثيرات الأخرى التي أتت بفعل جهود الفرنسيين أنفسهم في الخروج على النمطية الكلاسيكية. لكن نعطي نموذجا يوصّف أثر مشاركة ألف ليلة وليلة في حصول ذلك التغيير.

" لم تكن قصص ألف ليلة وليلة نصا بعينه في الأدب العربي – كما يظن القاريء الغربي– فهذه القصص حكايات شعبية استمر تناقلها بالرواية الشفهية؛ عن طريق الحكواتية؛ الذين كانوا يزيدون عليها، ويزخرفونها بنوادر أشعارٍ تنم عن أذواقهم الشخصية، ولهذا أصبحت متغايرةً بشكل واضح وذات صِيَغ تعكس اختلاف الأمكنة التي رويت فيها.

ولمّا كانت هذه القصص انبثقت من الأجواء الشعبية التي كانت سائدة في بلاد الهند وفارس والعراق والشام ومصر فإنها عكست طبيعةَ الناس الذين كانت تُروى لهم باللغة الدارجة؛ كي تستسيغها أسماعُهم. لهذا كله لم يكن بالإمكان عدّها مِن الأدب المصقول"[2]. هذا فضلا عمّا فيها مِن أخيلة وأفكارٍ وعادات لا يمكن أنْ تنطبق تماماً على المجتمعات الإسلامية آنذاك، أو على الأقل لا يمكن أنْ تشملَ جميع الأقطار بالجملة.

إنّ الكيفية التي انتقلت بها تلك القصص تبقى غير مؤكدة "ويمكن القول إنّ من حمَلها إلى أوروبا نفر مِن مسيحيي ويهود الديار الإسلامية، ومن الصليبيين في حملاتهم، والتجار والرحالة والمبعوثين، وبذلك أصبحت تلك القصصُ واحدةً مِن سلع الشرق المتداولة حول العالم.

1 الأدب المقارن. محمد غنيمي هلال. ص 42. ط8. دار نهضة مصر. 2008.

2 أساطير أوربا عن الشرق. رنا قباني. ص 47. ط1. دار طلاس. دمشق. 1993.

"وعندما انتهت تلك القصص إلى الفرنسي أنطوان غالان Antoine Galland قـرّر ترجمتها بالكامل، وجعل منها نصا بقي في التداول ما يربو علـى القـرن (1704 – 1838). وغالان هذا كان مبعوث الدبلوماسية الفرنسية في القسـطنطينية. وتعكـس المذكرات التي سجّلها انبهاره بالمخطوطات الشرقية. ولقد تأثر برحالـة أوروبيـين سبقوه إلى الشرق. وقابل جان شاردان[1] Chardin 1643– 1713 م، وهو رحالةٌ فرنسي كتب عن فارس وتركيا والهند. ومع أنّ شاردان كان رحّالة مجِدّ إلا أنه لـم يستطع أنْ يكون كاملَ النزاهة. فهو لم يتمكن مِن تناسي عالم الحريم، الـذي كانـت أوروبا مولعةً به أشدَ الولع. ووجد في هذا المحور دافعَ الإثارةِ والقبول لدى القـرّاء العطشى لمثل هكذا انفعالات وأخيلة "[2].

إنَّ الصور التي اشتقّها غالان من ألف ليلة وليلة هي التـي شـهرته بعمـلٍ بهـرَ الأوروبيين؛ على الرغم من كونه أدنى إنتاجه قيمةً، وأبعده تمثيلا للأدب. ولقد سـخِر من الطريقة التي كتب بها قصص ألف ليلة وليلة، وذكر أنه كـان يتسـلى بكتابتهـا ليروّح عن نفسه من عناء يوم الدراسة الأكاديمية. وعندما نالت القصص نجاحا كـان من الطبيعي أنْ يزهو بها؛ إلا أنه أحس يجرح أصاب كبرياءَ العالِم في داخلـه. ومـع ذلك فلم يكن ليستخفّ بهذا الإقبال الشعبي، وقد اعترف لصديقه گوىر بأنه يتطلع إلى مخاطبة القارىء العادي، وإلى إسعاد الناس لا إلى تعليمهم[3].

وادعاء إسعادَ الناس لا يعفي غالان مِن أن تكون بغيته تلك على حسـاب الخـراب الذي يلحق الحقيقة؛ جرّاء ابتِسار الشرق كله في قصص يجري انتخـاب المفتضـح منها؛ لتسلية الجهور كما ادّعى هو. ومع ذلك فتلك القصص شـكلت سـحرا جـذب عناية الرومانسيين والأوربيين بوصفه معوّضا عن جفاف الروح الأوربية؛ من جرّاء سطوة الوضعانية تجاه الأدب وعموما الفكر.

---

1 موسوعة المساشرقين. عبد الرحمن بدوي. ص 88. دار العلم للملايين. بيروت. ط3. 1993.

2 أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. 49.

3 م.ن. 53

" فالشرق حسبما نقله الأدب المستورد أصبح نوعا مِن التسلية التي تغيّر من جو العقلانية المتزمت. ويلبّى توقَ القرن الثامن عشر للعودة إلى البساطة التي دعا إليها روسّو Rousseau؛ حين نادي بالعودة إلى الطبيعة. لذلك نرى شخصية (روبنسون كروزو) التي ابتكرها دانيال ديفو Defoe أعلى مستوىً مِن جميع الشخصيات البطولية الأخرى، وقصة السفينة المحطمة والجزيرة الخالية في روايته مقتبسة عن قصة السندباد[1]. هذا إذا تركنا الجمع بين الرومانسية الفلسفية وبين فحوى القصة التي فيها شبه كبير بقصة حي بن يقضان. لذلك قُوبلت ألف ليلة وليلة بحماسةٍ شديدة في عصر طغى فيه التململٌ مِن الصرامة العقلانية وهي في بواكير اندفاعها، فتولّدت الحاجة إلى الترويح عن النفس عبر خيالٍ يتجاوز الصرامة الطاغية، وكان الشرق هو المكان الطبيعي لتلبية تلك الحاجة. ومن هنا بدأت العودة الثانية إلى الشرق السحري .. الشرق الرومانسي المتمثل في قصصه وأشعارهن وأخباره.

ويرى ناجي عويجات أن هناك " عاملان يميزان الصورة الأدبية الشرقية الصحيحة عن الصورة الخاطئة. أولهما أن الخصائص الشرقية الصحيحة إذا ما وجدت أضفتْ اللون الشرقي على النصوص الأدبية؛ لكن إذا استخدِمت في أدبٍ مشوّه فبهدف الزخرفة ليس إلا"[2].

والآن نتحول إلى إعطاء نماذجَ تدلّل على كيفيةِ اشتغال الرومانسيةِ الإنكليزية على العنصر الشرقي الذي مثّل لديها بعداً احيائيا بالغ الوضوح. والمرجّح أن موقف بريطانية من الشرق الرومانسي يمتاز بأنه موقف شاعري أكثر مِما هو موقف فكري؛ كما هو الحاصل لدى الألمان؛ فالألمان كان موقفهم من الشرق متأثراً بفلسفة التاريخ على الخصوص وجذرية الأفكار والمشاعر ذات الطابع الحدسي.

---

1 Paradise on Earth: Some Thoughts on European Images of Non-European Man, Henri Baudet, (New Haven, 1965) pp. 38-41.

2 تطور صورة الشرق في الأدب الإنكليزي. ناجي عويجات. ص 12. تـ تالا صباغ. المنظمة العربية للترجمة. 2008.

أمّا في بريطانيا فالشعراءُ وحتى الرسامون المستشرقون أخذوا الشرق أخذاً شاعريا؛ لذلك تأثروا مباشرا بمصادر الأدبِ الشرقي لاسيما ألف ليلة وليلة؛ عِبْر ما اكتشفه وحقّقه ونشره المستشرقون مِن كتب ودواوين عربية، وهي كلها تأثيرات لا تخلو من أن تكون امتدادات للتأثر القديم بالشرق منذ أيام الأندلس، والعصور اللاحقة.

ومنذ العصر الفيكتوري "حاولت إنكلترا الصناعية التفلُّت مِن التقاليد الصارمة، والهروب إلى عالم خيالي مليء بالغموض والأحلام، كردّ فعل على التكنولوجيا المادية المسيطرة، آنذاك. وهكذا كانت أشعار الجاهليين ومعلقاتهم وألف ليلة وليلة منبعَ إلهامٍ للجيل الجديد، من الشعراء والأدباء الرومنسيين، كتاىلر وكولبريدج ووالتر سكوت وثوماس كارليل. وكان باىرون من أوائل الذين تأثروا بـ «ألف ليلة وليلة»، في كتابه «الحكايات الشرقية»، إذ رأي الشرق أرض مغامرات محيرة ، وعواطف جياشة، وقسوة غاشمة. إنها أرض فانتازيا، يسكنها السحرة والمخلوقات المتعددة"[1].

"ومع هذا التحول في نظرة الأوروبيين إلى الشرق عموما، والعرب خصوصا، تولّدت بدايات الاتجاه الرومانسي في الاستشراق، وظهر معها ذلك الميل المفعم بكل ما هو غريب، وهو اتجاه له خصوصية معينة، إذ كان «الغريب» دوما هو العجيب أيضا. ومن هنا بدأ الشوق والتلذذ برؤية الشرق الغريب العجيب، بل الشوق إلى الأعجب والأغرب" [2].

كانت عبقرية السير وليام جونز William Jones [*] (1746-1794) المفتاح الذي جلبَ الشعرَ العربي والفارسي إلى انتباه القراء البريطانيين؛ والرومانسيين على الخصوص. ففي عام 1782 ترجم المعلقات السبع. ثم " نذر نفسَه لمهمة ترجمة الليالي العربية مِن النسخة الفرنسية المأخوذة عن اللغة العربية، فكانت إنجازاته تلك غير عادية في الاستشراق، وتقدّم وسائل لفهم شعر بايرون وتضعه في منظور

1 صورة الشرق في عيون الغرب. إبراهيم الحيدري. دار الساقي. ط1. ص36. بيروت. 1996.
2 م.ن. 40.

صحيح"[1]؛ الأمر الذي حمل المستشرق البريطاني هاملتون گب إلى القول: (لــولا كتاب ألف ليلة وليلة ما ظهر أدبٌ مثل روبنسون كروزو ورحلات جــوليفر، ولــولاه لكان الأدب الإنجليزي أفقرَ ممَّا هو وأتعس)[2].

"أصدر جونز عام 1774 كتاباً بعنوان شروح على الشعر الآسيوي؛ في ستة كتــب: وترجم قصائد عربية مماثلة لما يقابلها من أوزان الشعر اللاتيني، كما ترجم فقــرات مِن الشاهنامه؛ بأسلوب أنيادة فرجيل، وقصيدتين لحافظ الشيرازي على قالب قصــائد أنكريون الشاعر اليوناني. وكان لهذا الكتاب تأثيرٌ كبيرٌ أعطى الأوروبيين ولأولِ مــرةٍ نظرةً عامة عن الشعر الإسلامي (العربي والفارســي والتركــي)، كمــا زود القــارئ الأوروبي بلمحةٍ عن الشعر العربي ابتداء من المعلقات و «بانت سعاد»، مروراً بــأبي نواس، وابن المعتز، والمعرّي وابن الفارض.

وبخصوص دور جونز في تأثير الشعر العربي على الشعراء الإنكليز " قــام الفريــد تنىسون شاعر الملك في انجلترا من سنة 1850 إلى سنة ١٨٩٢ بدراسة مؤلفــات جونز دراسة دقيقة وتناول في الأدب والفن كثير من قصائده موضــوعاته الشــرقية. وأبرز مثال على دينونته للأدب العربى قصيدته الغنائية المشهورة (إيــوان لكســلي)

---

* وليام جونز William Jones مستشرق وقانوني: بريطاني. ولد في لندن عام 1746 فبرز وهو ما يزال تلميذاً في الشعر والأدب الكلاسيكي، تعلم العربية بنفسه. ثم دخل جامعة أكسفورد 1764. وفي عام 1766، وتخرج منها 1772 وهو يتقن العربية والفارسية والتركية. وفي 1784 أســس الجمعية الآسيوية التي كان غرضها تشجيع الدراسات الشرقية. وكان أول إنتاجــه فــي الدراســات الشرقية كتابه: «نحو اللغة الفارسية» عام 1771. ومن أعماله ترجمته للمعلقــات الســبع، عــام 1782 بعنوان Moallakat. وأصدر في 1774 كتاباً بعنوان «شروح علــى الشــعر الآســيوي » والقسم الرئيسي من الكتاب يتناول علم عروض الشعر العربي، ثم البلاغة والبديع. توفي مبكرا عام 1794في كلكتا. انظر: موسوعة المستشرقين. عبد الرحمن بدوي، 1992.

1 Byron and Orientalism. Edited by Peter Cochran. Cambridge Scholar press. P. 6-7. 2006.

2 الاستشراق الفرنسي والأدب العربي. د. احمد درويش. ص 30. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة. 1997.

الذي كتب عنها ابن الشاعر نفسه قائلا: أتذكر أنَّ والدي قال: إن ترجمة السير ولـيم جونز النثرية للمعلقات ألهمته فكرة القصيدة؛ وليست القصيدة نفسها ذات وسط عربي خالص فحسب، بل إن وزنها أيضا محاولةٌ لتقليد بحر الطويل الذي اسـتعمله امـرؤ القيس"[1].

وقد لخّص فريدريك شليـگل حماسة الحركة الرومانسية لإمكانيات الشرق الأدبيـة بقوله:

"في الشرق تعثُرُ على أرقى شكل للرومانسية، فهو النبع الذي يجب أن ننهل منـه، والعواطف التي تسحرنا في الشعر الأسباني تبدو لنا بالمقارنة مع تلك العواطف جِـدّ هزيلة "(2). فالرومانسيون وجدوا في الشرق عالما مختلفا كل الاختلاف عـن عـالم الكلاسيكية، عالما لا عقلانية تملؤه، بل تلونه حرية التخيل والحساسية والقدرية[3].

كانت قراءة الليالي سبباً في تحول الشعراء إلى نوع خاص، لا يمكن فهمه بمعـزل عن الجغرافيا والتاريخ الطبيعي. وأصـبحت عنصـرًا تأسيسـيًا فـي الأيديولوجيـة الرومانسية، لما فيها من أساطير ميز بها الشعراء أنفسهم في المجتمـع البريطـاني، وأصبحت قابلية التفاعل مع الحكاية الشرقية علامةً يمكن للشـعراء مـن خلالهـا أن يتعرَّفوا على بعضهم البعض بوصفهم شعراء حقيقيون[4]. فالشرق النصوصي " وفـر لهم خلفية ذات رؤىً شاعرية يتحرَّك عليها أبطال رواياتهم وقصائدهم.

---

1 تأثير الأدب العربي على الأدب الإنكليزي. بقلم المستشرق البريطاني آرثر جون اربري. مجلة الأدب والفن. لندن. 1943.

2 The Rise of Modern Mythology, Quoted in Burton, Feldman and Robert Richardson, 1972) p. 313.

3 Guide through the Romantic Moment, Ernest) . Pp. 1 Bernbaum (New York, 1949

4 The Arabian Nights in Historical Context: Between East and West Edited BY Saree Makdisi and Felicity Nussbaum. Oxford University press. 215-216

في قصيدتَي الستور Alastor وثـورة الإسـلام The revolt of Islam تـرى أبطال الشاعر شىلى Shelley يزورون الأطلال، ويرون بوادي النيـل، ويجتـازون فارس والجزيرة العربية، ويتسلقون جبال الهملايا، حتى يصلوا إلـى أكثـر الوديـان عزلة في كشمير، وبذلك يبرز المحور الرئيسي الذي تدور حوله القصائد الرومانسية ألا وهو الترحال[1]. وهذا هو السبب نفسه – فيما نرى – كان دافعا لتنشـيط جهـد الرحالة الأوربيين إلى الشرق. وأولئك الرحالة كان لهم تواشج وصلات واسـعة مـع الرومانسيين؛ كتابا كانوا أم رسامين.

كان أحد المواضيع الأثيرة لدى الرومانسيين الإنكليز موضوع (البلبل والـوردة)، وأول من جاء به إلى الأدب الإنكليزي (الليدي مونتـاغيو) فـي مراسـلاتها مـع (الكسندر بوب Alexander Pope)، وذكرت في إحدى رسائلها إليه عام ١٧١٧ أنّ البلبل غنى كأحلى ما يكون الغناء؛ ليصف حبّه للوردة. فـالتقط بـوب هـذا الـنمط الرومانسي، وتابعه في مغازلته لها، وراح يكتب إليها مِن منطلـق صـورةِ الشـرق قائلا: إنك ستصلين إلى أرض الغيرة، حيث النساء الكسيرات لا يجدن مَن يتحدثنَ إليه سوى الخصيين ... ويسترسل بوب في وصف مونتاغىو وهي توغل في الشرق:

إنهم يهمسون: إنك تسترخين على الأريكة، وصرت بارعة في لفِّ العصابة الشرقية على رأسك، وتستحمين وتتعطرين. وأسمع كيف أمضيت ليلتك؛ حيث حلمـتِ بجنيـة شرقية. وحين صحوت أصبح جسدُك الجميل متمتعا بكامل حريته؛ ليمارس كل الفعال المثيرة التي خلق لأجلها[2].

---

1 The Lost Travellers: A Romantic Theme with Variations Bernard Blackstone (London, 1962) p. 26.

2 The Alexander Pope Correspondence, (Oxford, 1956) vol. I, p. 368

فهذه الأشعار بمثابة مراودة تغلّفت بالغزل حاول فيها الكسندر بوب استلاب الشرق استخدامه للتعبير عن نوازعه تجاه مونتاغيو وذلك بجعل النساء الشرقيات ينطقن بدلا عنه؛ تعبيرا عن نوازعه هو.

إن أول تأثير عميق وواسع النطاق لليالي في الأدب الإنكليزي تم عن طريق بيكفورد(*) في روايته الواثق Vathic والتي كتبها في ايطاليا؛ مستلهما أحداثَها من الليالي العربية.

وبحسب ما ترى رنا قباني في كتابها الثري أساطير أوربا عن الشرق فإن صورة الشرق: "خدمت أغراض ويليام بيكفورد الفنية؛ فروايته الواثق انبثقت من القصص الشرقي في القرن الثامن عشر، وجعل من الشرق إطارا أدبيا، منه استعار عوالمه الفنية، وحاكى أساليبه اللغوية، ولقد وفّر الشرق امتدادات فسيحة ومزخرفة، ومنهجا شعريا.

وبيكفورد أخذ الشرق – الأسطورة، وجعل منه أسطورةً أكبر، وقد كتب إلى السيدة (هيرفي Hervey): لا تظني يا أختي العزيزة، أنَّ الشرقيين هم الذين يبهجونني، بل البلاد التي يقطنونها هي التي تستحوذ على إعجابي، إن غابات توابلهم، وحيواناتهم، وأنهارهم الكبيرة هي مصدر سعادتي. كان الشرق الأدبي هو الملجأ الذي جذبه فهرب إليه"[1].

---

* بيكفورد ولد في 29 سبتمبر 1760 في لندن. وفي سن العاشرة ورث ثروة كبيرة من والده وليام بيكفورد، الذي كان عمدة لندن لمرتين، فضلا عما ورثه من عقارات ومزارع السكر في جامايكا، التي عمل بها الأفارقة المستعبدين. وسمحت له الثروة بالعناية بالفن والهندسة المعمارية، بالإضافة إلى الكتابة. وتم نفيه نفيا اختياريا لتهم تلبّست به بخصوص شذوذه الجنسي. سافر إلى إيطاليا عام 1782 وهناك أصدر كتابًا عن: الأحلام، والاستيقاظ، ثم كتب في روايته الواثق بالفرنسية أولا.

أنظر: _Murray, Christopher John (2013). Routledge. Encyclopedia of the Romantic Era, 1760–1850ISBN 9781135455798

1 أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ص 60.

وهناك معطيات مهمة نتجت عن تفاعل بيكفورد مع الليالي العربية في روايته الواثق؛ " إلا أن التأثير الأكثر أهمية هو أن اهتمامه وقراءاته في ترجمات لليالي أتاحت له مزجَ الخيال بموهبة حسية في تخيل الصور الشرقية"[1]. فضلا عن أن الكثير من الكتاب الأوربيين كانوا يقومون بإسقاط مشاعرهم المكبوتة على صورة الشرق. فعلى سبيل المثال فإن حكاية بيكفورد الشرقية (الواثق Vathek) تحكي عن خليفة شاب غني شرِر وفاسد، ومنغمس في ملذاته، ولم يكن يسمح لشيء أن يقف بينه وبين تحقيق رغباته الجنسية. لكن قصة الخليفة الشاب هي في الحقيقة قصة بيكفورد نفسه. لكن الأثر الأكبر في تأثير قصص بيكفورد يتمثل في تعليقات وشهادات معاصريه من الرومانسيين الكبار الرواد، فهي تصِف ليس الأثر الذي تركه بيكفورد فيهم بل ما تركه الشرق في أشعارهم وأفكارهم وحتى مناهجهم الفكرية التي اختطوها.

ومن ذلك الأثرِ مواقفُ اثنين مِن معاصريه الأصغر سنا وهما بايرون Byron وتوماس مور Thomas moor. اللذان يَدينان فيما كتباه للنمط الأدبي الذي في قصص بيكفورد. " فـ بايرون وجد ضالتَه في رواية (الواثق) لبيكفور، والتي ظل يحتفظ بها دون سائر كتبه التي أوصى بعرضها للبيع؛ قبل أن يغادر إلى اليونان عام، وبذل محاولات لمقابلة بيكفورد الذي رفض اللقاء به؛ فكتب قائلا: ما جدوى المقابلة، فلو التقينا لرحنا نتحدث في وقتٍ واحد، ولتكلفنا السرور، ولبدأت فيما بيننا المراسلات، وهي أقسى ما يمكن أنْ يتصوره المرء؛ لأنها ستكون مصطنعة. لكن طالما أستطيع من خلال أعماله التمتع بأفضل ما يمتاز به عقله، فماذا أطلب أكثر"[2].

---

1 Experience, Fantasy, and Reality in William. Beckford's Vathek. Abdulhafeth Ali Khrisat. Damascus University Journal, Vol.27 No.3+4,2011. pp.190.

2 The Life of William Beckford. John Walter Oliver. Oxford University Press, 1932, p. 285- 287

كان بايرون قارئا نهِما لأدب الرحلات إلى الشرق، "وقد كتب إلى صديقه توماس مور عام ١٨١٣ ينصحه بقراءة مؤلف (كاستلان Castellan) عن (عادات وملابس العثمانيين) الصادر عام (١٨١٢)؛ لاعتقاده بأنه سيزوده بالمادة اللازمة لتأليف قصيدة عن الشرق، وحثَّه على كتابة القصيدة؛ لأنها ستلقى ترحيبا في الجو الأدبي السائد آنذاك: فلتكتبْ عن الشرق، إنه النهج الشعري الوحيد، فالشمال والجنوب والغرب استنفدت جميعها، ولم يبق أمامنا إلا هذا الشرق. أمّا القليل الذي فعلتُه أنا فليس سوى صوت أطلقته في البرية؛ يمهّد السبيلَ أمامك، وإذا كان قد أصاب بعض النجاح فإنه دليل على أنّ الناسَ أصبحوا ميالين نحو الشرق"[1].

وتعبير بايرون " صوت أطلقته في البراري" شبيه بما ورد في سفر أشعيا: « صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ». يحمل في طياته سِمَة التبشير؛ ولكن ليس من مَنزع ديني؛ بل من خلال فكرة الخلاص الرومانسي الذي كان يعتقد به جلُّ الرومانسيين؛ فالرومانسية ليست مذهبا أدبيا فحسب – كما قد يرى الكثير من الناس – بقدر ما هي نزوع ثوري أدواته الشعر والكتابة الأدبية بعامة.

ولقد استفاد الشاعرُ مور مِن توجيه بايرون له فجنى ثروة كبيرة مِن روايته الشعرية (لالهْ روخ Lalla Rookh) التي نشرها عام ١٨١٧. وتحتوي على الكثير مِن الوصف المشحون بالأخيلة والمبالغات؛ فضلا عما فيها من إضافات تصل إلى حد الكذب، مثل وصف المناظر على جانبي الطريق الذي تسير فيه (لالهْ روخ) لمقابلة عريسها. مما حدا بالرحّالة فيكتور جاكمونت إلى كشف مبالغاته قائلا: إن توماس مور كذابٌ. فأنا أسلك الطريق ذاتها التي قال إنّ لالهْ روخ مرَّت بها؛ ولم تقع عيني على شجرة في تلك الطريق[2].

---

1 Byron, Letters and Journals, edited by Leslic A Marchand (London, 1980, vol. II, p. 101

2 Victor Jacquemont, Letters from India, describing Journey during the pears 1828–1831 (London, 1835, 2 vols) vol. I, p. 360.

ومثالُ ما كتبه مور مثال كلِّ الأخيلة التي تعمل على تصنيع خيالي مبالغٍ عن الشرق؛ دون أنْ تلتفت إلى الأثر السلبي الذي تتركه أخيلتهم؛ ولا إلى الإساءات التي تتشكل في ذهن القارئ الأوربي. فهو عالمٌ يغصّ بنساءٍ الفاتنات ذوات العيون السود الواسعة؛ تتفجر فيهن الرغبة، لكنهن واقعات في أسر الرجال. ذلك الشرق هو شرق السحر والجمال والطبيعة والشمس والجواري والولائم والحرير والمجوهرات والموسيقى والرقص والأشعار[1] فحسب!.

إن الوصف والانبهار الذي نجده في أدبيات الغرب عن الشرق لا يحمل الكثير مِن البراءة بقدر ما يحمل الإشباع الغريزي؛ وهو وصف غنائي يختلط بمسحة العداء التقليدي للإسلام، فـ مور نفسه لم يفرّقْ بين الواقع والخيال، ولا بين التاريخ والأسطورة؛ المهم لديه أن يجمع – بغرض التسويق – بين الإثارة وبين مسحة العداء ودونية الشرق.

أمّا النموذج الرابع لهذا الانفعال والتأثر بالشرق فالشاعر (كولريدج Coleridge) لاسيما في قصيدته (قبلة خان Khan Kubla)، التي كتبها عام ١٧٩٧ وشجَّعه وساعده على كتابتها ونشرها الشاعر بايرون ذاته.

كان كولريدج يشبه بايرون في الولع بكتب الرحلات والإدمان على قراءتها؛ لاسيما تلك التي تصوّر الرحلات إلى الشرق. وهي التي زوَّدته بلفتاتٍ شعرية، وبثروة مِن أساطيرَ وجدها في سِير الرحلات التي تمعَّنَ في قراءتها، وأكسبته الكثير من الصور المدهشة. وقد تعلَّق كولريدج بكتاب ألف ليلة وليلة، وهو طفل، وكتب رسالة إلى (توماس بول Thomas Poole) عام ١٧٩٧ يصف فيها مشاعر الرغبة والخوف التي كانت تلازمه، يقول:

" عندما أرنو إلى النافذة التي وضع عليها الكتاب، وقد غمرته أشعة الشمس أخذه وأجلس مستنداً إلى الجدار وأنعم بقراءته... وأشار أيضا إلى معارضة والده لقصص

---

1 Thomas Moore, Poetical Works (New York, 1854) p. 424

ألف ليلة وليلة، وكيف كان يعتقد بوجوب إحراقها لأنها تلهبُ عواطفَ الأطفال. ولا شك في أنَّ رأي والده كان له سبب، لأن كتابات كولريدج ظلت تحمل الطابع المثير والملتهب لتلك القصص"[1].

" كانت العلاقة بين البنية السردية والرسالة الأخلاقية التي تثير عناية كوليردج في الحكايات الشرقية ليس فقط التي استذكرها منذ الطفولة، بل تلك التي قرأها وهو شخص بالغ. لكن الغريب لديه انه حاول رد الليالي إلى أصول يونانية، لأن إسناد الصفات المعنوية الثابتة إلى العوامل الخارقة للطبيعة تكتظ بها الأساطيرُ اليونانية، لكن الجان في القصص الشرقية ليست مثل آلهة اليونان القديمة؛ يمثلون إرادتهم بل كانوا تحت سيطرة الله[2]. وهذه في الحقيقة مسألة تتكرر في الذهن الغربي الذي على الرغم من تأثره بالشرق؛ إلا انه يحاول جاهدا ردّ الأصول إلى مصادر أخرى؛ يعد نفسه امتدادا لها، وهذا ليس بسبب مؤثرات الجغرافية والمعتقد فحسب؛ بل لانّ الغيريّة وتجاهل الشرق يشتغلان بكل قواهما في الذهن الغربي.

وبالمحصلةِ كانت أدب الشرق يشكّل قلقا مستداما في ذهن الأدباء الإنكليز؛ والغرائبية التي فيه يثير سِحرا مربكا لهم؛ بسبب مغايرة السرد والخيال والإثارة لِما دأبوا عليه من أساليب وموضوعات. وهم في كل الأحوال يعبِّرون عن ذلك القلق بنوع مِن الانبهار يستحق التقصي والتحليل.

كان ووردزورث كثيرَ التعلّق بذلك الإرثِ السردي الخطير، وكان يقول: إنه " الكنز النفيس الذي امتلكه طويلا؛ ذلك الكتاب الصغير الأصفر المجلد بقماش القنّب؛ ذلك المختصر الضئيل من الحكايات العربية.

---

1 Coleridge, Collected Letters, edited by E. Griggs (Oxford, 1956, 2 vols) vol. I, p. 347.

2 م.ن

The Arabian Nights in Historical Context: 216

أما كوليرج فلا يخْفي توقه إلى حكاياات الخيال هذه، وكان يقول: أعطني ليالي التسلية العربية والتي كنت أرقبها حتى تبلغها الشمس التي كانت تشع على خزانة الكتب، وعندما تسطع عليها كاملة، كانت تعطيني الشجاعة لكي أسحبها مِن الرف. وكانت الليالي تقترن في ذهن كوليرج بالغريب والمرعب، ولم تكن لديه الجرأة في شبابه على التعامل مع حكاياتها في الليل الذي يزيد من رعب قصصها"[1].

والواقع فهذه عينات من كبار أدباء إنكلترا تبين مدى تأثرهم وانفعالهم بالشرق وبأدب الشرق وغيرهم كثير اكبر من أنْ نذكر أمثل لهم في هذا المجال.

أمّا في ألمانيا فمنذ منتصف القرن السابع عشر كانت أكثر الدول الأوروبية تخلفًا في المجال الأدبي، إذ تمزقت سياسياً واقتصاديًا، وكادت أنْ تكون في القرن الثامن عشر أشبه بأرض بور؛ لولا أنْ بدأت حقبة جديدة منذ عام 1730 مع نشوء النزاع بين العقلانية العقائدية والنقاد السويسريين، الذين أدركوا أنَّ الشعرَ لا يمكن أنْ يتم وفقا لوصفة تشبه كعكة.

وفي العام 1740 نشر بودمر (الخطاب المتعلق بالعنصر العجيب في الشعر)، والذي يشير عنوانه إلى التقدم نحو مفهوم أكثر فائدة للفن، ودعا إلى أنْ يقوم الكُتاب الألمان بوضع نموذج لأنفسهم من النتاجات الأكثر حرية في اللغة الإنجليزية، التي كانت روحها أقرب إليهم.

لكن التحوّل الكبير في الأدب الألماني بدأ مع ليسينغ[*] فهو أول من حوّل نظره نحو إنكلتر؛ وكانت مكانته في ألمانيا بالأهمية ذاتها التي تمتّع بها يونك في إنكلترا؛ لأنه عرض قضيةً جذابة لإعادة التوجيه الحاسم؛ ليس مِن فرنسا إلى إنكلترا فحسب،

---

1 ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي. د. محسن الموسوي. ص 42. مركز الإنماء القومي. بيروت.

* غوتهولد إفرايم ليسينغ Gotthold Ephraim Lessing :كاتب، وفيلسوف، ومسرحي، وناقد فني ألماني ( )1729-1781 وأحد أهم ممثلي عصر التنوير، مسرحياته وكتاباته النظرية أثرت بصورة كبيرة على تطور الأدب الألماني.

ولكن أيضًا من التقليد إلى الابتكار، ممثلًا بـ شكسبير؛ بوصفه العبقرية العليا، لذلك وصل الزخم الحيوي لألمانيا مِن إنجلترا.

وفي المرحلة الثانية، بين حوالي1770 و1790 تمَّ عكسُ الموقف فالتجديد أتى مِن فرنسا إلى ألمانيا؛ التي كانت متعطشةً لبدايةٍ جديدةٍ بعد فترةٍ طويلة مِن القصور الذاتي[1]. ونظراً للبعد الإيديولوجي الذي امتازت به الرومانسية – بوصفها نزعة عابرة للمفهوم القومي – فقد كان لها أثر في حصول تغيرات كبرى في الثقافة الأوربية؛ وصلت حدَّ النزوع الثوري تجاه الكثير من مظاهر الحياة والمفاهيم. " وبهذا المعنى يمكن عدُّ الرومانسية ظاهرةً لا يمكن تقديرها إلا من خلال دراسةٍ مقارنة؛ فقد كان الكثير مِن الرومانسيين مدركين تمامًا ما هو فوق الوطني للحركة؛ فالشقيقان شليگل يعتزّان بمفهوم الأدب الرومانسي بوصفه جزء مِن سعيهما إلى شعر عالمي. وربما شجّعت هذه النزعةُ الرومانسيين النقادَ على البحث عن القواسم المشتركة للحركات الرومانسية، وإلى المبالغة في التشابه بين أدبيات مختلف البلدان"[2]، وهذا ما نجده لدى الأديب الألماني غوته (١٨٣٢ – ١٧٩٩) بوضوح؛ لاسيما في نزعته لتحقيق فكرة الأدب العالمي Universal Literature.

استلهم غوته الحركة الرومانسية الوليدة في سبعينيات القرن الثامن عشر، ولم يحدث أنْ كان داعما صريحا لحركة الهوس بالهند، بل حرص في الحقيقة على الاحتفاظ بمسافة فاصلة بينه وبين الحركة الرومانسية. ولكن نظرا لكونه رحبَ الصدر في عواطفِه ومشاركاته الوجدانية، فقد أبدى اهتماما كبيرا بالأفكار الوافدة من الشرق العربي والإسلامي.

" أراد غوته بواسطة الروح أن ينفذ حتى الأصل الأول للأجناس البشرية؛ من خلال ما يسعى إليه مِن اتحادٍ مع الشاعر المعروف حافظ شيرازي، يقول غوته:

أنا أشبهك تماما، أنا الذي حُفرت في روحي الصورة الرائعة لكتبنا المقدسة.

---

1 Romanticism in Historical Perspective Lilian R. Furst Comparative Literature Studies, Vol. 5, No. 2 (Jun., 1968), pp. 120-121.

2 م.ن

فلتكن المتع والمشاق مشتركة بيننا، نحن الأخوة التوأم. أحب وأشرب
مثلك سيكون كبريائي وتكون حياتي ...
ىا حافظ إنّ مضاهاتك ضرب من الجنون؛
اعذرني ىا معلمي!.

إن هذا الجمع مع حافظ، هو بطبيعة الحال إطراءٌ لغوته، بيد أنه لا يحتاج مطلقا إلى هذا التكريس في ذلك الوقت الذي كتب فيه الديوان (١٨١٤ – ١٨١٩)، وان هذا الأمر لا يعدو أن يكون نوعا من الكلاسيكية المهددة، والتي ذهب يبحث عنها في شرق الزمن الماضي. إنها نظرة يخشى فقدانها في الغرب؛ إثر التحجيم الذي فرضته الوضعانية على العلم والتصور الساذج للطبيعة"[1].

والواقع فأن إعجاب كوتيه بالشرق الإسلامي أكبر بكثير مما يذهب إليه جي جي كلارك؛ عبر إيحاءاته: بأن تواصل غوته مع الشرق أتى من إعجابه بالتراث الهندي[2]، بينما تأثّره بالشرق العربي والفارسي له الأثر الأكبر، وعمله: الديوان الشرقي للمؤلف الغربي شاهد على ذلك.

وهو مجموعة من القصائد استلهمها من الشاعر حافظ الشيرازي[3]؛ والديوان كتب بين 1814 وعام 1819، وكان آخر أعماله الشعرية. حاول فيه المزج بين الثقافة الغربية والشرقية. فضلا عن عنايته بالشعر العربي الجاهلي؛ لاسيما المعلقات، معتمدا على ترجمة وليم جونز[4]. وستبقى ترجمة وليام جونز إلى مدى طويل الملهم الأول للشعر الجاهلي لاسيما الملعقات.

---

1 الشرق الخيالي. ورؤية الاخر. تيري هنتش. تـ د. مي عبد الكريم. ص. 219. مؤسسة المدى. 2006.

2 التنوير الآتي من الشرق. م.ن. ص. 106.

3 عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التجديد(، تأليف "باربارا باومان"، و"بريجيتا أوبرله"، منشورات عالم المعرفة، فبراير 2002، العدد 278، ص 182.

4 غوته والعالم العربي، كاتارينا موزمين، ، غوته والعالم العربي، كاتارينا موزمين، ص 46. ت عدنان عباس، منشورات عالم المعرفة، العدد 194، 1995.

لكن – وكدأب الغربيين على الدوام – يحاول أكثرهم إرجاع أي وافد شرقي إلى اليونانية أو إلى أصول هندية أو فارسية أو كونفوسشية، ومنهم مَن يحاول إقصاء الشرق العربي وإخراسه.

ويصل الحال بأحد النقاد إلى حدّ الزعم بأن الرومانسيين ابتدعوا هندوسية من نسج خيالهم، ليؤكدوا بها معتقداتهم، وأن الهندوسية المنبثقة عن جهودهم تشايع البروتستنتية المتحررة من الجمود العقائدي، وخير مثال على ذلك محاولةُ شوبنهاور مطابقة بعض أفكاره المحورية مع المفاهيم الهندية؛ مِن مثل مطابقة الإرادة مع براهما. وكذلك إعلاء شليگل من قدر الهند باعتبارها نبع الحكمةِ التي على أوروبا أن تنهل منها.

لكن وعلى الرغم مِن هذا فمِن العسير أنْ تُحجب مشاعر الإعجاب بمحاولات شوپنهاور والرومانسيين من اجل دمج هذه الأفكار البعيدة والأجنبية ضمن أفق التفكير الغربي ... بيد أن فهم شوبنهاور الخاص بالفلسفة الهندية مهما بدا قاصرا فيعدّ تمثيلا بارزا للتطلع نحو استخدام الفكر الشرقي بغية إحداث تجديد أساسي ومراجعة للتراث الفكري الغربي[1].

ومن جانب آخر هناك تيار آخر أبدى مُمانعة شديدة للشرق باستخدام فلسفة التاريخ التي من شأنها إعلاء النموذج الغربي على حساب الشرق، هذه الممانعة تحمل في طياتها نزعة عرقية مندمجة بأصول لاهوتية؛ لكن بخطاب فلسفي مموّه. وهذا ما نجد نموذجه في مجمل فلسفة التاريخ لدى هيجل.

ويبدو أنّ الثقةَ التي استشعرها هيجل في تصنيفه لثقافات آسيا – تحت مقولات تضمّنها مذهبه – يعكس الوضع التاريخي لأوروبا خلال تلك الفترة؛ باعتبارها القوة العالمية البازغة، وأدى ذلك إلى أنّ كثيرا من النقاد عمدوا إلى رفض أفكاره في هذا المجال باعتبارها شديدة التجريد، وغارقة في التأمل النظري، وتفتقر إلى حساسية

1 التنوير الآتي من الشرق. م.ن. ص. 116.

تأويلية تجاه الثقافة الأجنبية. وذهبوا إلى أن أفقه الأوروبي لا يندمج كثيرا مع الأفق الشرقي، وإن هذا العائق هو الذي حال دون توفّر استجابةٍ مواتية إزاء نظريته[1].

ونلمس هذا بوضوح في فحوى رؤيته لحركة التاريخ؛ والتي يراها تسير في اتجاه حتمي لا سبيل إلى الرجوع عنه، وأنه اتجاه يمضي في صرامة من الشرق إلى الغرب، ولم يشأ أن يجدد الماضي مثلما فعل الرومانسيون، ولكنه على العكس رأى أن حضارات الشرق تشغل مرحلة باكرة في مسيرة تطور الروح الإنساني. وأنّ التاريخ العالمي في جوهره تاريخ تطور الوعي بالحرية فيما يخص الروح، والتقدم على طريق الحرية يتجلى في حركةٍ تاريخية للروح التي بلغت ذروتها في صورة الحضارة المسيحية الحديثة لأوروبا.

وطبيعي أن مثل هذه النظرة أجازت للمستشرقين الأوروبيين أن ينهضوا بدورهم ويفهموا الشرق في ضوء الاستعلاء الأوروبي. وتفضي هذه النظرة إلى أن الغرب ينهض بمهمة يعجز الشرق عن أدائها لنفسه[2].

وثمة حقيقة مفادها أن هيجل التزم نظرة نقدية ثابتة إزاء معاصريه. من مثل فريدريتش شليگل، "الذي قاده افتتانه بالهند – حسب رأي هيجل– إلى خيانة الحاضر وتشويه التاريخ. ولكن وعلى الرغم من هذا اعتقد هيجل بأن فهم الشرق له فوائده، وأنه يتجاوز كثيرا حدود الاهتمام بدراسة الآثار؛ إذ إنه يزودنا بالمادة اللازمة لصوغ تاريخ كوكبي شامل للثقافة البشرية، وهو ما مكنه من وضع نموذج تاريخي لتطور الروح البشري"[3].

إذن فانتشار الرومانسية في ألمانيا لاقى صدّا مِن فكر جديد لا يتعلق كثيرا بنزوع ديني؛ بقدر تعلقه بنمطية فلسفية حاولت إعادة قراءة التاريخ أو كتابته على أسسٍ مغايرةٍ للنمطية الدينية؛ لكن هذه النمطية لم تستطع التخلي بالجملة عن رواسب دينية غلفتها بغلاف فلسفي.

---

1 م.ن. 111.

2 م.ن. 112.

3 م.ن.

لكنْ وفي جانبٍ آخر نجد تيارا مضادا لذلك النزوع في كتابات نيتشيه الـذي شـن هجومه العنيف على العقلانية الغربية وعلى التزمت الديني كليهما. أو بصورة أكثـر وضوحا حاول إعلاء النموذج الديونسيوسي على النموذج الأبولوني.

وفي كتابه مولد المأساة الإغريقية تفصيل موسّع لهذه النزعة؛ مع العلم أنّ أصول ديونيسيوس الشرقية أضحتْ لدى العلماء أمراً محسوما. وكما مـرّ سـابقا فالعلمـاء رجحوا أنَّ أصله غير يوناني. وأنه مِن تراقيا جنوب الأناضـول. وأسـطورته كانـت السبب في نشوء النمط الشعري الدثرامبي، وإليها يعزو إليها نيتشـيه ولادة عصـر المأساة الإغريقية. وأسطورته كانت السبب في نشوء الموسيقى والأغـاني القديمـة لذلك يعزو إليها نيتشيه ولادة عصر المأساة الإغريقية[1].

وقد اختار نيتشيه في حمل أفكاره تلك تقمّص شخصية (شرقية) هو زرادشت، فكتب كتابه هكذا تكلم زرادشت. وهو كتاب فلسفي شعري ذو نزعة رومانسية؛ على الـرغم مما يحتويه من أخيلة غارقة في الرمز. والكتاب – شأنه شأن كتابه مولد التراجيـديا – حملةٌ مضادة للنموذج الالبولوني؛ النموذج العقلي الذي يقيد الفن ويعيـد الجمـال والفضيلة كليهما إلى العقل؛ لا إلى الحدس والشعور الحر. وفي مولد التراجيديا قـرَن نتيشيه بين يوربيدس وبين سقراط بوصفهما المسؤولان عن موت عن موت الروح.

إن يوربيدس(*)وهو يضع الخطة كـ مُفكر؛ مِن نمـطِ سـقراط ويطبّقهـا كممثـل شغوف، تأتي تراجيديّته رابطة الجأش ومتقدة، أي تكون باردة جدا وملتهبـة. لكنهـا تراجيديا لا يمكنها بلوغ الأثر الذي تحققه الملحمة الأبولنية، لكنها تحدث قطيعة مـع الاتجاه الديونسيوسي ... وما دمنا عرفنا أنّ يوربيدس فشـل فـي مسـاعيهِ لبنـاءِ تراجيديا على أساسِ الروح الأبولنية، وأن الغايات غير الديونيسيوسية قد ابتعدت في

---

1 م.ن. *Classic mythology. Myth Summary Chapter 13: Dionysus,*

* يوربيدس واحد من ثلاثة مسرحيين كبار ممن نجى قسم من أعمالهم ووصلت إلينا. اسخيليوس وسوفوكليس. من رواد المآسي الكلاسيكية في أثينا. ويمثل حجر الزاوية في البناء الأدبي الكلاسيكي. انظر:

In The Cambridge History of Classical Literature I: Greek Literature, B. Knox,'Euripides'. Cambridge University Press (1985), p. 316

اتجاه نزعة طبيعية لا فنية، فقد صار باستطاعتنا أن نناقش ظاهرة السقراطية الجمالية، التي تقومُ أساساً على القانون التالي:

" لكي يكون الشيء جميلا يجب أنْ يكون مفهوما. "وهو قانون يتوازى مع مقولة سقراط الشهيرة بأن"الفضيلة ملك المعرفة فقط"[1]. وهذا تحدّ صاخب للأنساق المدرسية التي قامت عليها نظرية الأدب والنقد الأدبي كليهما، وهي دعوة صريحة إلى العودة إلى الروح الدينسيوسية، إلى الروح الرومانسية المشبعة بالأثر الشرقي.

Refrences

- Richard Southern , Western Views of Islam in the Middle Ages, Harvard University Press, 1998, P21.
- Alfonso X and Islam Nadia Dhafer Shaaban, The Saudi Arabian Journal, double issue, p. 110. May 4-5, 1979.
- Feldman and Robert Richardson, The Rise of Modern Mythology, Quoted in Burton, 1972, p. 313.
- Robert Briffault , The Making Of Humanity, London, Ruskin house, 2004, 183 .
- Tim Whitmarsh, The Romance Between Greece and the East, Cambridge press. P. 325. 1998.
- Tobias Hübinette, Orientalism Past And Present, An Introduction To A Postcolonial Critique, The Stockholm Journal of East Asian Studies, p. 74

. Pp. 1 (Guide through the Romantic Moment, Ernest Bernbaum ,New York, 1949.

_ Abdel-Rahman Badawi, Encyclopedia Of Orientalist Texts, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1993, 60.

_ Abdul Qadir Pasha, On The Margins Of Ancient Egyptian History, Egyptian Book House Press, Cairo, 1970, 131.

1 مولد التراجيديا. فريدريك نيتشيه. 164 – 165. تـ شاهر حسن عبيد. دار الحوار. اللاذقية. ط1. 2008.

_ Ahmed Darwish, French Orientalism And Arabic Literature, The Egyptian Book Organization, Cairo, 1997, 340.
_ Arthur Cottrell, Dictionary Of World Myths, Nineveh House, Damascus, 2008, 39.
_ Arthur John Arbery, The Impact Of Arabic Literature on English Literature, Journal of Literature and Art, London, 1943, 145.
_ Barbara Baumann, Ages of German Literature, Transformations of Reality and Paths of Renewal, World of Knowledge Publications 2002, 182.
_ Bromley and Podolny, Ethnos And History, Dar Al Taqaddam, Damascus, 1988, 80.
_ Friedrich Nietzsche, The Birth Of Tragedy, Dar Al-Hiwar, Lattakia, 2008, 450.
_ Hamad Dawood, Ancient Civilizational History Of Syria, Damascus, Dar Al-Safadi, 2004, 389.
_ Judy Boreham, The Romance Duncan Heath, Supreme Council for Culture - Cairo - 13, 2002.
_ Katharina Mozmin, Goethe And The Arab World, World of Knowledge Publications, 1995, 68.
_ Literary Criticism: An Introduction To Theory And Practice, London 2011, , 326.
_ Marshall Brown, Cambridge Encyclopedia of Literary Criticism, National Center for Translation, Cairo, 2016, 75.
_ Matren Bernal, The Black Ethnicity, The Supreme Council For Culture, Cairo, 2004, 108.
_ Mohamed Mahmoud Ali, Eastern Origins Of Greek Science, Eye for Studies and Research, Cairo, 1988, 290.
_ Mohsen Al-Musawi, One Thousand And One Nights In English Literature Theory, National Development Center, Beirut, 2008, 231.
_ Mostafa Mahmoud, History Of Science And Technology In Antiquity, The Egyptian General Book Organization, 2008, 80.
_ Muhammad Al-Saghir, The Phoenician Expansion In The Western Mediterranean, Beirut, University Foundation for Studies and Publishing, 1982, 120.
_ Muhammad Mofid Al-Shubashi, The Arabs And European Civilization, The Egyptian General Book Organization, 1975, 90.

_ Nicholas Ostler, Empires of the Word, A History Of Languages In The World, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 2011, 20.
-David Levin, History As Romantic Art, Bancroft, Prescott, and Parkman, p.67, 1967.
_ Friedrich Nietzsche, The Birth Of Tragedy, Dar Al-Hiwar, Syria, 2008, 60.
G. g. Clark, Enlightenment from the East. The meeting between Asian thought and Western thought, the world of knowledge. Kuwait, 2007, 230.
-Lotfi Abdel Badie, Islam In Spain, The Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1958, 123.
-Raymond Williams, A Vocabulary Of Culture And Society, New York, NY . Oxford University Press, 2015, 123.

The Eastern Roots of Western Romanticism

Faris Aziz Al Mudaris*

Abstract

This research reveal the Eastern roots of Western romanticism, by analyzing the different historic contexts, and the influence of ancient eastern civilizations had on Greek civilization.

In ancient times the Greek civilization did not include the European world as it is recognized today.

The Greek civilization was an extension of the interactive of many civilizations, the most important of which were the Eastern civilizations in Egypt, Iraq and Persia. The Greece's legacy carried with it the principles of romantic images in ancient Eastern art and literature.

In the subsequent, the research reveals the influence of East civilization on the European, from the Andalusian period onwards.

***Assist. Prof./ Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Mosul**

The research contains a definition of romance, as an intellectual tendency rather than a literary one, so it has influenced the emergence of mager changes in the world.

This paper shows that the early pioneers of European were influenced by in Eastern literature, especially Arabic literature, through the book of the Arabian Nights and poetry of Andalusians, and other confiscation.

Finally we present examples of texts selected from different European literature; influenced by the literature of the East; as well as testimonies of critics, writers and travelers.

Key words : hypothesis, visualization , music